مصطلح (بدع التفاسير) للإمام الزمخشري ت ٥٣٨هـ
في (كشافه) ... دراسة تحليلية

أ.م.د. ماجدة سليمان ياقوت

أستاذ الدراسات الإسلامية المساعد

بآداب الإسكندرية

قسم اللغة العربية وآدابها

الملخص باللغة العربية:

تتلخص الدراسة في حصرالأقوال التفسيرية التي وصفها الزمخشري بالبدعية وقد أطلق عليها مصطلح (من بدع التفاسير) ؛ وقد تفردالإمام (الزمخشري)بهذا المصطلح ؛ فلم يأت عند أحد غيره ؛ وبينت الدراسة قصد الزمخشري من مصطلح (البدعة) بأنها تطلق على الأمر المذموم وجاءت الدراسة لبيان السبب الذي من أجله وصف(الزمخشري) هذه الأقوال بالبدع من التفاسير، وتبين أنها في مجملها تخالف الأشهر من أقوال السلف وكذلك تخالف جماع الحجة من أهل العربية وليس هذا فحسب بل تجاوزه إلى القراءات القرآنية وأن منها ما وصفه الزمخشري بالبدع من التفاسير لمخالفتها جماع الحجة من القراء . ومن تحليل الشواهد الموسومة بالبدعية وجدت أن (الزمخشري)قد جعل ضوابط التفسير عند الإمام الطبري معيارا له في مصطلحه هذا .ولايمكن أن نغفل الجانب المذهبي عند (الزمخشري) فقد كان ضابطا له في بعض المواضع ، ويتبع(أبوحيان)(الزمخشري) ويحسن أقواله بل ويزيد ويفصل القول فيها وكذلك (الرازي) . فالأغلب أن من جاء بعد (الزمخشري) اتفقوا معه .

والله الموفق والمستعان

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وسيد الأولين والأخرين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد.

إشكالية الدراسة:

تكررت عند (الزمخشري) في تفسيره " عبارة " من بدع التفاسير" في مواضع بلغ عددها تسعة عشر موضعًا على سبيل الحصر لا الاستشهاد.

وهذه العبارة تفرد بها الإمام (الزمخشري)، فلم ترد عند أئمة المفسرين ولذا استوقفت عندها بسؤال؛ هل تلك العبارة؛ (من بدع التفاسير) نابعة من مذهبية (الزمخشري) الاعتزالية؟

وأنه قد وصف بعض الأقوال بالبدعية لأنها تخالف مذهبه الاعتزالي؟

أم أن الأمر لا يمت بصلة إلى مذهبه الاعتزالي – وإن كنا لا نغفل هذا الأمر مطلقا_ ويتعلق بضوابط التفسير عند أهل السلف؟

أسباب اختيار موضوع الدراسة :

أولا: بيان السبب الذي من أجله، وصف (الزمخشري) بعض الأقوال بالبدع من التفسير ،ثانيا :بيان مدى اتفاق المفسرين مع (الزمخشري) أو تفرده بهذا المصطلح ثالثا:بيان الآدلة التى استند إليها (الزمخشري) ومناقشتها عند أئمة المفسرين.

منهج الدراسة:

نهجت المنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم على تتبع الظاهرة أو نقول (العبارة) ؛محل الدراسة ،وتحليل شواهدها بالرجوع إلى أئمة المفسرين.

حدود الدراسة:المواضع التي وصفها (الزمخشري) بالبدعية ، وقد بلغت تسعة عشرموضعا.

هدف الدراسة:

دراسة الأقوال الموصوفة (بالبدع من التفاسير)، بالنظر إلى أقوال السلف ومدى اتفاق أو تفرد (الزمخشري) في وصفه هذا مع المفسرين .

وعليه جاءت الدراسة معنونة بـ" مصطلح بدع التفاسير للإمام (الزمخشري) ت ٥٣٨هـ في كشافه دراسة تحليلية "؛ ومقسمة إلى؛ تمهيد، وستة مباحث؛ وخاتمة بنتائج الدراسة، ثم ثبت المصادر والمراجع.

التمهيد:"تحرير عنوان الدراسة،" وبها ثلاث مفردات؛

أولهما: التعريف بالإمام (الزمخشري) (رحمه الله تعالى).

ثانيهما: التعريف بتفسير "الكشاف".

ثالثهما: التعريف بالبدعة.

وستة مباحث؛ ، وهي كالآتي ذكره:

المبحث الأول: توجيه المعني إلى غير المشهور مردود.

المبحث الثاني: إجماع الحجة.

المبحث الثالث: توجيه المعنى إلى الشاذ من اللغات مردود.

المبحث الرابع: نسق الكلام وسياقه.

المبحث الخامس: حمل المعنى على الحقيقة ورد المجاز والاتساع.

المبحث السادس: المذهبية الفرقية .

والخاتمة وبها أهم النتائج التي انتهت إليه الدراسة .

وثبت المصادر والمراجع.

التمهيد (تحرير عنوان الدراسة)وبه :

أولاً: التعريف بالزمخشري رحمه الله تعالى.

ثانيًا: التعريف بتفسير "الكشاف"

ثالثًا: التعريف بالبدعة

تمهيد (١)

التعريف بالزمخشري ٥٣٨ هـ[١]

هو محمود بن عمر بن محمد بن عمر، العلّامة، أبو القاسم (الزمخشري)، الخوارزمي، النحوي، اللغوي، المتكلم، المعتزليّ، المفسر. [المتوفى : ٥٣٨ هـ]

مصنّف " الكشاف " فى التفسير، و" المفصل " فى النحو، وزمخشر: من قرى خوارزم، وكان يقال له جار الله، لأنه جاور بمكة زمانًا.

وولد بزمخشر، فى رجب سنة سبع وستين وأربعمائة ، وقدم بغداد وسمع من أبى الخطاب بن البطر وغيره، وحدث ، وأجاز لأبى طاهر السلفي، ولزينب الشعرية ، وغيرهما .

قال ابن السمعاني: كان ممن برع فى علم الأدب، والنحو، واللغة، لقى الكبار، وصنف التصانيف فى التفسير، والغريب، والنحو، وورد بغداد غير مرة، ودخل خراسان عدة نوب، وما دخل بلدًا إلا واجتمعوا عليه، وتلمذوا له، وكان علامة الأدب، ونسابة العرب.

وقال القاضى ابن خلكان : كان إمام عصره، له التصانيف البديعة، منها "الكشاف"، ومنها " الفائق " فى غريب الحديث، ومنها كتاب " أساس البلاغة "، وكتاب " ربيع الأبرار وفصوص الأخبار "، وكتاب " متشابه أسامى الرواة "، وكتاب " النصائح الكبار"، وكتاب " ضالة الناشد"، و" الرائض فى الفرائض "، و" المنهاج " فى الأصول، و"المفصل "، وسمعت بعض المشايخ يحكى أن رجله سقطت وكان يمشى على جاون خشب، وسقطت من الثلج، وقيل : إنه سئل عن قطع رجله، فقال: سببه دعاء الوالدة، كنت فى الصغر أخذت عصفورًا وربطته بخيط فى رجله، فطار، ودخل فى خرق، فجذبته ، فانقطعت رجله،

[١] الذهبى / تاريخ الإسلام ٦٩٧/١١

فتألمت أمي، وقالت : قطع الله رجلك كما قطعت رجله، فلما كبرت ورحلنا إلى بخاري سقطت عن الدابة، وانكسرت رجلي، وعملت عملًا أوجب قطعها، وكان متظاهرًا بالاعتزال، وقد استفتح "الكشاف" بالحمد لله الذى خلق القرآن، فقالوا له: متى تركته هكذا هجره الناس، فغيرها بجعل القرآن، وهي عندهم بمعنى خَلَق[١] ، وقد قال فيه يمدحه :

إنَّ التفاسيرَ فى الدنيا بلا عـَدَدٍ وليس فيها لِعُمْرى مَثْلَ كَشَافِي

إنْ كُنْتَ تَبغِي الهدى فالزَمْ قَرَاءَتَهُ فالجَـهُل كالداءِ والكشافُ كالشافِي [٢]

ويقصد من قوله (سقطت من الثلج) أنه كان فى بعض أسفاره ببلاد خوارزم أصابه ثلج كثير، وبرد شديد فى الطريق فسقطت منه رجله، وأنه كان بيده محضر فيه شهادة خلق كثير ممن اطلعوا على حقيقة ذلك خوفًا من أن يظن من لم يعلم صورة الحال أنها قطعت لريبة، والثلج والبرد كثيرًا ما يؤثر فى الأطراف فى تلك البلاد فتسقط ، خصوصًا خوارزم، فإنها فى غاية البرد، ولقد شاهدت خلقًا كثيرًا ممن سقطت أطرافهم بهذا السبب، فلا يستبعده من لم يعهده . [٣]

وطبع من كتبه : " أساس البلاغة " و" الفائق فى غريب الحديث " و" الأمكنة والجبال والمياه "والبقاع المشهورة فى أشعار العرب " و"النصائح الكبار" ويسمى كذلك بالمقامات، و" المستقصى فى الأمثال "، و" نوابغ الكلم " و" أطواق الذهب" و"النصائح الصغار " و" أعجب العجب فى شرح لامية العرب " و"مقدمة الأدب " و" ربيع الأبرار"[٤].

وعدله الذهبى بأنه صالح ولكنه داعية إلى الاعتزال . [٥]

وكان قد سافر إلى مكة، حرسها الله تعالى ، وجاور بها زمانًا فصار يقال له(جار الله) لذلك، وكان هذا الاسم علمًا عليه.[٦]

١الذهبى / تاريخ الإسلام ٦٩٧/١١

٢الذهبى / سير أعلام النبلاء ١٥٢/٢٠

٣٣ابن خلكان : وفيات الأعيان ١٦٩/٥

٤انظر " معجم المطبوعات " ٩٧٣ – ٩٧٦ ، وانظر النسخ الخطية لبعض كتبه غير المطبوعة فى " تاريخ " بروكلمان ٢١٦/٥- ٢٣٨ ، وانظر بقية تصانيفه فى " معجم الأدباء " ١٣٣/١٩ – ١٣٥ ، و " وفيات الأعيان " ١٦٨/٥ ، ١٦٩ و" هدية العارفين " ٤٠٢/٢ ، ٤٠٣

المحقق شعيب الأرنؤوط / سير أعلام النبلاء ١٥٦/٢٠

٥الذهبى / ميزان الاعتدال ٧٨/٤ – ٣

٦ابن خلكان / وفيات الأعيان ١٦٩/٥

ومات ليلة عرفة سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة . بجرجانية خوارزم ، بعد رجوعه من مكة رحمه الله تعالى، ورثاه بعضهم بأبيات ومن جملتها:

فَأرضُ مكةَ تَذْرِى الدمْعَ مَقْلَتُهَا حُزْنًا لِفُرقِة جارِ الله محمود [1]

تمهيد (٢)

ثانيًا / التعريف بتفسير الكشاف

اسمه : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل . [2]

اتفق العلماء على أن تفسير (الكشاف) أول كتاب فى التفسير يكشف أسرار بلاغة القرآن العظيم ، ووجوه إعجازه ، وبراعة مؤلفه من فنون القول ، وبعد غوره فى تراكيب الكلام على الرغم من الاعتزاليات التى حوته .

فيجعله ابن خلدون – فى القسم الثاني من فنون التفسير، وهو ما يرجع إلى اللسان من معرفة اللغة والإعراب والبلاغة فى تأدية المعنى بحسب المقاصد والأساليب، ويقول : "ومن أحسن ما اشتمل عليه هذا الفن من التفاسير كتاب الكشاف للزمخشرى، من أهل خوارزم العراق، إلا أن مؤلفه من أهل الاعتزال فى العقائد ... " . [3]

ونرى (الرازي) يثنى عليه فى أكثر من موضع فى تفسيره " مفاتيح الغيب " ويصفه بالإتيان بالنكات واللطائف ، فيقول : " ورحم الله صاحب الكشاف فلو لم يحصل فى كتابه إلاَّ هذه النكتة لكفاه فخرًا وشرفاً"[4].

---

[1] السابق ١٧٣/٥

[2] لقد اعتمدت على طبعة (المكتبة التجارية الكبرى) لصاحبها : مصطفى محمد . الطبعة الأولى سنة ١٣٥٤ هـ بمصر .
وبذيله كتابان جليلان : أولهما : "الانتصاف" لابن المنير السكندرى سنة ٦٨٣ هـ . ثانيها : حاشية الأستاذ الشيخ/ محمد عليان المرزوقى من علماء الأزهر الشريف ١٣٥٥ هـ . وهى تتضمن التنبيه على ما بالكشاف من الاعتزال وبيان عقائد أهل السنة فيها. وقد أثرتها علي غيرها من الطبعات لحسن تنسيقها .

[3] ابن خلدون : مقدمته ص ٥٤٩ بولاق ١٣٢١ هـ بمصر.

[4] الرازي : مفاتيح الغيب ٤٨٨/٢٧ سورة غافر /٧ ، قوله تعالى : [الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ].

ومن جميل الأوصاف ، ما وصف به (الزمخشري)، تفسيره ؛ "الكشاف" وفى ذلك يقول السيوطى: " ثم جاءت فرقة أصحاب النظر فى علوم البلاغة، التى بها يدرك وجه الإعجاز، وصاحب " الكشاف " هو سلطان هذه الطريقة، فلذا طار كتابه فى أقصى المشرق والمغرب، ولما علم مصنفه أنه بهذا الوصف قد تجلى، قال تحدثًا بنعمة ربه، وشكرًا .

إنَّ التفاسيرَ فى الدنيا بلا عدَدٍ ... وليس فيها لِعُمْرى مَثَلَ كَشَافِي [١]

إنْ كُنْتَ تَبغِي الهدى فالزَمْ قَرَاءَتَهُ ... فالجْهُل كالداءِ والكشافُ كالشافِي

وينص الشيخ (الذهبى) على أن (الكشاف) لم يسبق مؤلفه إليه فى أَنَّه أبان عن وجوه الإعجاز ، فيقول : (ليس عجيبًا أن يكون الكشاف كذلك وهو أول كتاب فى التفسير كشف لنا على سر بلاغة القرآن وأبان لنا وجوه إعجازه ، وأوضح لنا عن دقة المعنى الذى يفهم من التركيب اللفظى، كل هذا فى قالب أدبي رائع ، مصوغ إنشائي بديع لا يتفق لغير (الزمخشري) إمام اللغة وسلطان المفسرين . وإذا كان (الزمخشري) قد تأثر فى تفسيره بعقيدته الاعتزالية فمال بالألفاظ القرآنية إلى المعاني التى تشهد لمذهبه، أو تأولها بحيث لا تتنافى معه على الأقل، فإنه فى محاولته هذه قد برهن بحق على براعته وقوة ذهنه، وصور لنا مقدار ما كان من التأثر والتأثير بين التفسير وهوى العقيدة) . [٢]

ويصفه د(محمد أبو شهبة)بأنه؛ من خير كتب التفسير وأجلها، ولولا نزعته الاعتزالية فى بعض الآيات القرآنية، لما تناوله المعترضون بالنقد، وأن كل من جاء بعد (الزمخشري) عالة عليه وذلك لما يذكره من أسرار الإعجاز والغوص في المعاني البلاغية الدقيقة [٣].

أما عن اعتزالياته فى " الكشاف " فهى من براعته فى الكلام، وتمكنه من فنون القول، وبعد غوره يدس بعض آرائه فى أثناء تفسيره، وتروج على خلق كثير من أهل السنة، ولذا

---

[١] **حاجى خليفة : كشف الظنون ١٤٧٥/٢**

[٢] **الذهبى : التفسير والمفسرون ٣٧٣/١ ط القاهرة بمصر .**

[٣] **محمد أبو شهبة : الإسرائيليات والموضوعات ص ١٣١.**

قال البلقيني: استخرجت من الكشاف اعتزالًا بالمناقيش من قوله تعالى : ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [1].

قال : أى فوز أعظم من دخول الجنة، أشار إليه به إلى عدم الرؤية، وقال "ابن تيمية" أثناء الكلام عن تفاسير المعتزلة : ومن هؤلاء من يكون حسن العبارة، يدس البدع فى كلامه، وأكثر الناس لا يعلمون، كصاحب الكشاف ونحوه، حتى إنه يروج على خلق كثير من أهل السنة كثير من تفاسيرهم الباطلة. [2]

وانصافًا للحق، فإنَّ ابن تيميه شهد للكشاف بأنه لم يسبق مؤلفه إليه، لما أبان فيه من وجوه جمال النظم القرآنى وبلاغته. وقال : بصرف النظر عما فيه من الاعتزال . [3]

ونرجع إلى عبارة (البلقينى): استخرجت من الكشاف اعتزالًا بالمناقيش " .

ولأجل هذا صار يُنظر إلى كلامه بريبة، ويظن أنه أرد ببعض عباراته نصرة مذهبه الاعتزالى ، وذلك مثل ما وقع فى تفسير قوله تعالى : ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾[آل عمران : ١٨٥]

قال :" فقد حصل له الفوز المطلق المتناول لكل ما يفاز به ولا غاية للفوز وراء النجاة من سخط الله والعذاب السرمد ، ونيل رضوان الله والنعيم المخلد"،[4] وفى عبارته هذه ما يشعر بأن دخول الجنة هو الفوز المطلق ، وبأنه ليس وراء دخول الجنة فوز آخر، وباطن هذه العبارة إنكار رؤية البارى التى هى أعظم الفوز " . [5]

وقد قيض الله لهذا الكتاب من نبه إلى ما فيه من اعتزاليات، وبين ما فيه من انحراف، وميل باللفظ القرآنى إلى مذهب أهل الاعتزال، وهو : الإمام أحمد بن محمد المعروف بابن المنير، عالم الإسكندرية وقاضيها، وخطيبها، فألف كتابه : " الانتصاف " ، وهو يدل على علو كعب هذا الإمام فى العلوم الشرعية، والبلاغية، وأصول الدين، وأصول

---

[1] **الآية آل عمران / ١٨٥ ، وانظر قول البلقينى: أنظر السيوطى / الاتقان ٢٤٣/٤ .**
[2] **السيوطي: الاتقان ٢٤٣/٤.**
[3] **ابن تيمية : مجموع فتاوى جـ ١٣ / ص ٣٨٦ – ٣٨٧**
[4] **الزمخشري : الكشاف جـ ١ / ص ٤٤٨**
[5] **د. فهد سليمان الرومى / شرح مقدمة التسهيل لابن جُزى ص ٢١٥**

الفقه، وبهذا الكتاب النفيس يمكن للقارئ لتفسير الكشاف أن يقرأه مع الأمن عليه أن يزيغ، أو يضل فى متاهات الاعتزال . [١]

وعن موقف أبى حيان؛ فهو بين هذا وذاك، فينقل عنه الكثير، ويوافقه فى مواضع لا حصر لها ويصف أقواله بالحسنة والإجادة . على الرغم من انتقادته للإمام (الزمخشري) في مواضع كثيرة.

ويصفه بأنه رجل "أوتى من علم القرآن أوفر حظًا ، وعلى النقيض يرى أن تفسيره به أشياء منتقدة، حيث ينظم أبياتًا تصف قبحه وقلة فهم صاحبه، فهو يقول:

"وهذا الرجل، وإن كان أوتى من علم القرآن، أوفر حظ، وجمع بين اختراع المعنى وبراعة اللفظ ، ففى كتابه فى التفسير أشياء منتقدة ، وكنت قريبًا من تسطير هذه الأحرف قد نظمت قصيدًا فى شغل الإنسان نفسه بكتاب الله ، واستطردت إلى مدح كتاب (الزمخشري) ، فذكرت شيئًا من محاسنه ، ثم نبهت على ما فيه مما يجب تجنبه، ورأيت إثبات ذلك هنا لينتفع بذلك من يقف على كتابى هذا ويتنبه على ما تضمنه من القبائح [٢]".

وفى تلك الأبيات يتهم (الزمخشري) بقلة حظه فى علم البيان، فيقول :

ويُخْطِئُ فى تركيبِه كلامِهِ فليس لِمَا قَدْ ركبوه موافقًا

وكمَ بيْنَ مَنْ يُؤتى البيانُ سليقةً وآخر عَانَاه فما هو لاحقًا [٣]

وكيف يصفه بهذه الأوصاف ، وقد قال : إنه جمع بين اختراع المعنى وبراعة اللفظ !ففى كلام أبى حيان تناقض ، ويكفى كثرة نقوله عن (الزمخشري) ، فهذه شهادة لحسن تفسير (الكشاف).

ومن مميزات هذا التفسير :

١- خلوه من الحشو والتطويل.

٢- سلامته من القصص الإسرائيلي غالبًا، وإذا ذكر بعضه فإنه قد يفنده ، كما فعل فى قصة داود وسليمان ، ولكن وجدت به بعض الموضوعات التى لا تدرك بالعقل، وإنما يعلمها أئمة الحديث ونقاده ، وذلك مثل الحديث الطويل المروي فى فضائل السور، سورة

---

[١] **محمد أبو شهبة : الإسرائيليات والموضوعات ١٣٣**

[٢] **أبو حيان : البحر المحيط ٢٥٢/٨ وانظر الأبيات ٢٥٢/٨ ـ ٢٥٣**

[٣] **لم أثبتها كاملة لما فيها من قسوة على الزمخشري . رحمهما الله تعالى.**

سورة ، وكذلك ما روى فى قصة السيدة زينب بنت جحش، وحاول تبريره، وقد يذكر بعض الإسرائيليات، ولا ينفدها، مثل ما ذكره : فى قصة يأجوج ومأجوج، بل ذكر هنا حديثًا موضوعًا على النبى صلى الله عليه وسلم وسأتناول ذلك بالتفصيل فيما يأتى إن شاء الله تعالى:

٣- اعتماده في بيان المعاني على لغة العرب وأساليبهم فى الخطاب .

٤- عنايته الفائقة بالإبانة عن أسرار الإعجاز القرآني بطريقة فنية قائمة على الذوق الأدبي.

اتباعه طريقة السؤال : " إن قلت " بفتح التاء " ، ويقول فى الجواب : " قلت : بضم التاء" وهى طريقة من طرق التشويق ، فى التعليم وترسيخ المعاني فى النفس .[١]

وقد اعتنى الأئمة المحققون بالكتابة عليه ، فمن مميز لاعتزال، ومن محش، ومن مخرج لأحاديثه، ومن مختصر . [٢]

ومن النسخ الخطية لكتب الحواشى على تفسير (الزمخشري):

- كتاب تخريج أحاديث الكشاف لابن حجر.
- شرح الكشاف للتفتازاني.
- تلخيص الكشاف عن حقائق التنزيل لزين الدين الفارسى – ج ٢.
- معارضة شهاب الدين على بعض إيرادات أبى حيان على الكشاف .

التمهيد (جـ)

معنى البدعة

المعنى اللغوى :

[١] **محمد أبو شهبة / الإسرائليات والموضوعات ١٣٢**

[٢] **انظر تفصيل ذلك : حاجى خليفة / كشف الظنون ١٤٣٥/٢ وذكر بعضها محمد أبو شهبة ص ١٣٣**

البدعة "كل شيءٍ أحدث على غير مثال سابق سواء كان محمودًا، أو مذمومًا، ومن معانيها: الحدث فى الدين بعد الإكمال، ومنه " إياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة ..." .

والبِدع بالكسر ، الأمر الذى يكون أولًا، أو لنقل : الشيء الذى يكون أولًا فى كل أمر، كقوله تعالى : ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٩] .

وفلان بدع فى هذا الأمر، أى : أول لم يسبقه أحد ، قال الله تعالى ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا ﴾ والبدع فى الخير والشر . [١]

المعنى الاصطلاحى :

تناولها بالتعريف خلق كثير، من الشراح والفقهاء والأصوليين، وأسهبوا فى وصفها ، وكان سؤالهم، هل معناها الاصطلاحي يوافق معناها اللغوي أم لا ؟ وما كان من البدعة اللغوية ، وما كان من البدعة الشرعية، ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم : كل بدعة ضلالة " . وكذلك معنى قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه : "ونعمت البدعة"، وهل المحدثة هى البدعة ؟

ولنا أن نعرض طرفًا من تعريفاتهم ، فالحافظ ابن حجر العسقلانى ٨٥٢ هـ رحمه الله تعالى يعرفها فى قوله : "والبدعة أصلها ما أحدث على غير مثال سابق ، وتطلق فى الشرع فى مقابل السنة فتكون مذمومة والتحقيق أنها إن كانت تندرج تحت مستحسن فى الشرع فهى حسنة ، وإن كانت تندرج تحت مستقبح فى الشرع فهى مستقبحة وإلاَّ فهى من قسم المباح وقد تنقسم إلى الأحكام الخمسة ." [٢]

وفى شرح قوله صلى الله عليه وسلم " وشر الأمور محدثاتها " يقول : " إن المحدثة ما ليس له أصل فى الشرع، ويسمى فى عرف الشرع : بدعة ، وما كان له أصل يدل عليه الشرع فليس ببدعة، فالبدعة فى عرف الشرع (مذمومة) بخلاف اللغة، فإن كل شيءٍ أحدث على غير مثال يسمى بدعة ، سواء كان محمودًا أو مذمومًا " [٣].

---

[١] **انظر : ابن منظور : لسان العرب مادة (بدع) باب العين فصل الباء والزَّبيدي : تاج العروس مادة : (بدع) .**

[٢] **ابن حجر : فتح البارى ٢٩٨/٤**

[٣] **ابن حجر : فتح البارى ٢٦٦/١٣**

إذن ، فالحافظ ابن حجر العسقلاني، يصفها بالمذمومة مطلقًا وأنها تقابل السنة الشريفة، وبذلك فمعناها الشرعى خلاف معناها اللغوي.

أما قوله : وقد تنقسم إلى الأحكام الخمسة ، فهذا تعريف العز بن عبد السلام ت٦٦٠هـ حيث يقول : "البدعة فعل ما لم يعهد فى عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهى منقسمة إلى بدعة محرمة ، وبدعة مندوبة، وبدعة مكروه ، وبدعة مباحة ، والطريق في معرفة ذلك أن تعرض البدعة على قواعد الشريعة ، فإن دخلت في قواعد الإيجاب فهي واجبة ، وإن دخلت فى قواعد التحريم فهى محرمة" [١].

فالعز بن عبد السلام يرى أن ما ليس له أصل فى الشرع ، يسمى فى عرف الشرع (بدعة) ، وما كان له أصل يدل عليه الشرع فليس ببدعة.

وهذا التعريف يتفق مع تعريف ابن الأثير ت ٦٠٦ هـ وإن رأى أنها تستعمل فى مواطن الذم ، ويقصد العرف الشرعي لاستعمالها ، حيث يقول : " البدعة بدعتان ؛ بدعة هوى ، وبدعة ضلال ، فما كان فى خلاف ما أمر الله به ورسوله صلى الله عليه وسلم فهو فى حيز الذم والإنكار ، وما كان واقعًا تحت عموم ما ندب الله ورسوله ، فهو فى حيز المدح، وما لم يكن له مثال موجود كنوع من الجود والسخاء ، وفعل المعروف ، فهو من الأفعال المحمودة ، ولا يجوز أن يكون ذلك فى خلاف أصول الشريعة ولم يوافق السنة ، وأكثر ما يستعمل المبتدع عرف " فى الذم " [٢] .

والنووى ت ٦٧٦ هـ ، يرى أنها منقسمة إلى حسنة وقبيحة وهى بذلك توافق معناها اللغوى ، فيقول : "البدعة بكسر الباء فى الشرع : هى إحداث ما لم يكن فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهى منقسمة إلى حسنة وقبيحة". [٣]

ويشرح قوله صلى الله عليه وسلم : " كل بدعة ضلالة " [٤].

---

[١] عز الدين بن عبد السلام : قواعد الأحكام ٣٣٧/٢ ط دار القلم دمشق ٢٠٠٠ م

[٢] ابن الأثير : النهاية فى غريب الحديث ١٠٦/١-١٠٧

[٣] النووى : شرحه على صحيح مسلم ١٥٤/٦ – ١٥٥

[٤] مسلم : صحيحه : ك الجمعة باب : تخفيف الصلاة والخطبة حديث رقم: ٨٦٧.

بأنه عام مخصوص ، فيقول : (ولا يمنع من كون الحديث عامًا مخصوصًا قوله :" كل بدعة " مؤكدًا بكل ، بل يدخله التخصيص مع ذلك ، كقوله تعالى ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأحقاف/٢٥].

ومن المعلوم أن الريح لم تدمر كل شيءٍ" . [١]

وهى عنده مقسمة إلى الأحكام التكليفية الخمسة كما قال العلماء ، حيث يقول : " وهى خمسة أقسام واجبة ، ومندوبة ، ومحرمة ، ومكروه ، ومباحة" [٢].

والمعنى هو أيضًا عند الخطابى ت ٣١٩ هـ ، حيث قال كل شيءٍ أحدث على غير أصل من أصول الدين، وعلى غير عادة وقياس ، وأما ما كان منها مبنيًا على قواعد الأصول ومردودًا إليها فليس ببدعة ولا ضلالة "[٣].

أما قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه : " ونعمت البدعة " [٤].

فإنها البدعة اللغوية ، حيث يقول ابن تيمية ٧٢٨ هـ " وأكثر ما فى هذه تسمية عمر تلك بدعة مع حسنها، وهذه تسمية لغوية ، لا تسمية شرعية ، وذلك أن البدعة فى اللغة تعم كل ما فعل ابتداءً من غير مثال سبق ، وأما البدعة الشرعية ، فيما لم يدل عليه دليل شرعى "[٥].

---

[١] النووى : شرحه على صحيح مسلم ١٠٤/٧

[٢] النووى : المجموع ٣٨٧/٤ ط مكتبة الإرشاد / جدة / السعودية

[٣] الخطابي، معالم السنن في شرح أبي داود ٣٠١/٤.

[٤] ابن شبة : تاريخ المدينة ٧١٣/٢ : جمع عمر رضى الله عنه الناس على قيام رمضان وانظر موطأ مالك تحقيق عبد الباقى : كتاب الصلاة فى رمضان .
عن عبد الرحمن بن عبد القارى ؛ أنه قال : خرجت مع عمر بن الخطاب ، فى رمضان إلى المسجد ، فإذا الناس أوزاع متفرقون . يصلى الرجل لنفسه ، ويصلى الرجل ويصلى بصلاته الرهط فقال عمر : والله إنى لأرانى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل . فجمعهم على أبى بن كعب قال : ثم خرجت معه ليلة أخرى ، والناس يصلون بصلاة قارئهم . فقال نعمة البدعة هذه ، والتى تنامون عنها أفضل من التى تقومون . يعنى آخر الليل . وكان الناس يقومون أوله .
وتاريخ المدينة لابن شبة (٢/٧١٣)
عن أبى سلمة ، ويحيى بن عبد الرحمن قالا : كان الناس يقومون رمضان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبى بكر رضى الله عنه ، وبعض إمارة عمر رضى الله عنه فرادى ، حتى جعل الرجل الذى معه القرآن إذا صلى جاء القوم يقفون خلفه، حتى صاروا فى المسجد زمرًا ، ها هنا زمرة ، وها هنا زمرة ، مع كل من يقرأ ، فكلم الناس أبى بن كعب فقالوا: لو جمعتنا فصليت بنا ؟ فلم يزالوا به حتى تقدم وصف الناس خلفه ، فأتاهم عمر رضى الله عنه فقال : بدعة ، ونعمت البدعة ، فإنكم لتنقلبون بآخر المصلى إلى أن أصلى فيه .

[٥] ابن تيمية : اقتضاء الصراط المستقيم ٥٨٩/٢ ، مكتبة الرشيد، الرياض، تحقيق : ناصر عبد الكريم العقل.

وينص ابن رجب الحنبلى ت ٧٩٥ هـ ، على البدعة اللغوية ، وعلى استحسان ما ليس له أصل فى الشرع على أنه من البدع اللغوية لا الشرعية فيقول : (والمراد بالبدعة : ما أحدث مما لا أصل له فى الشريعة يدل عليه وأما ما كان له أصل من الشرع يدل عليه فليس، ببدعة شرعًا وإن كان بدعة لغة .... وأما ما وقع فى كلام السلف من استحسان بعض البدع ، فإنما ذلك فى البدع اللغوية لا الشرعية " [١].

مفهوم مصطلح البدعة عند (الزمخشري):

فلم أقف للزمخشري على تعريف محدد ومفصل ، ولكن فى شرحه حديث " أمع العمالقة هذا قرن قد طلع" يشير إلى معناها؛ حيث يقول : " القرن : أهل كل عصر يحدثون بعد فناء آخرين ، يعنى أنهم قوم حدثوا ونجموا ، لم يكونوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقيل أراد قرن الحيوان شبه به البدعة فى نطحها الناس عن السنة وتبعيدهم عنها " [٢].

ففي قول (الزمخشري) : (أراد "قرن" الحيوان شبه به البدعة فى نطحها الناس عن السنة وتبعيدهم عنها) دلالة على أن البدعة عنده تقابل السنة النبوية ، وهذا الرأى لإمام المحدثين ابن حجر العسقلاني[٣]، فهى بذلك مذمومة مطلقًا ، وأنها كل أمر خالف الكتاب والسنة وليس له أصل فى الشرع أما دلالتها فى التفسير، بعبارته (ومن بدع التفاسير)؛ فلن تتضح إلا بعد دراسة المواضع التى وصفها بالبدعة وسأجعل بيان هذا الأمر فى خاتمة البحث ونتائجه .

أما ما أستطيع قوله؛ هو أنَّ (الزمخشري) يوافق إمام الحفاظ والمحدثين؛ ابن حجر العسقلاني في تعريف البدعة ، ووصفها بالمذمومة .

ولم أجد أحدا من المفسرين استخدم هذا المصطلح (بدع التفاسير) ؛ ف(الزمخشري) هو أول من انشأه .

---

[١] **ابن رجب، جامع العلوم والحكم، ص ٣٣٦-٣٣٧.**

[٢] **الزمخشري / الفائق فى غريب الحديث ٣/٢٨-٢٩**

[٣] **قول ابن حجر : "وتطلق فى الشرع فى مقابل السنة ، فتكون مذمومة، انظر ص (١٣) من البحث.**

المبحث الأول

توجيه المعني إلى غير المشهور مردود *١

ففى معنى لفظة (إمام)، فى قوله تعالى : ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ ﴿الإسراء: ٧١ ﴾.

يعيب (الزمخشري) على من فسر (إمامهم) بأمهاتهم ،ويصف هذا القول بالبدعى وليس هذا وحسب بل يستنكره و يستهجنه حيث يقول:

(ومن بدع التفاسير أن الإمام جمع أم وأن الناس يدعون يوم القيامة بأمهاتهم وأن الحكمة فى الدعاء بالأمهات دون الأباء رعاية حق عيسى عليه السلام وإظهار شرف الحسن والحسين، وأن لا يفتضح أولاد الزنا، وليت شعرى أيهما أبدعُ؟ أصحةُ لفظه أم بهاء حكمته!؟) [٢].

وقد تنوعت أقوال السلف فى معنى "الإمام" الذى يدعو كل أناس به؛ويمكن حصرها في سبعة أقوال : القول الأول: بكتابهم"، أى :بكتاب كل إنسان منهم الذى فيه عمله،.روي عن ابن عباس والحسن وقتادة والضحاك ، القول الثاني : "بالكتاب المنزل عليهم. "أى: يدعى كل بكتابه الذى كان يتلوه ، فيدعى أهل التوراة بالتوراة ، وأهل القرآن بالقرآن،روي

---

[١] **الطبري/ جامع البيان ٥٠٣/١٧.بتصرف.وله عبارة ؛**
(توجيه معاني كلام الله إلى الأشهر أولى مالم تثبت حجة بخلافه يجب التسليم لها).
وينص على هذا في مواضع في تفسيره لا حصر لها، فمنها على سبيل المثال .
١- وتوجيه تأويل القرآن إلى الأشهر من معاني كلام العرب ما وجد إليه سبيل أولى من غيره ١٨٨/٩.
٢- فذلك غير الأشهر الأظهر في الكلام. هذا مع بُعد معناه في التأويل ٢١١/٩.
٣- وذلك غير فاشٍ ولا فصيح في كلامهم وتوجيه معاني كلام الله تعالى إلى الأشهر الأعرف ما وجد إليه سبيل أولى من توجيهها إلى الأجهل الأنكر ٣٢٢/١٢.
٤- وتوجيه معنى كلام الله إلى الأظهر الأشهر أولى من توجيهه إلى خلاف ذلك ٣٢١/١٥.
٥- والواجب أن يوجه معاني كلام الله إلى الأغلب الأشهر من وجوهها المعروفة عند العرب، مالم يكن بخلاف ذلك مايجب التسليم له من حجة خبر أو عقل ٢٨٨/١٦.
٦- وتأويل القرآن إنما يوجه إلى الأغلب الأشهر من معانيه ما وجد إلى ذلك سبيل دون الأنكر ٣٦٧/٢٤.

[٢] **الزمخشري : الكشاف ٦٨٢/٢**

عن ابن زيد .....القول الثالث : "بنبيهم" ،. فيقال: هاتوا متبعى إبراهيم عليه السلام، هاتوا متبعى موسى عليه السلام،وهذا عن مجاهد ،القول الرابع :و قاله على رضى الله عنه: "بإمام عصرهم."، القول الخامس: " بأعمالهم" . فيقال : أين الراضون بالمقدور، أين الصابرون عن المحذور ، روي عن ابن عباس والحسن وأبو العالية، القول السادس :" بمذاهبهم،" فيدعون بمن كانوا يأتمون به فى الدنيا : ياحنفي، ياشافعي، يامعتزلي، ياقدري، ونحوه، فيتبعونه في خير أو شر أو على حق أو باطل،روي عن أبي عبيدة ، القول السابع : قاله أبو هريرة : يدعى أهل الصدقة من باب الصدقة، وأهل الجهاد من باب الجهاد.. [1]

وقد ذكر (الزمخشري)منها معني ،(النبي و الدين و الكتاب و كتاب الأعمال فيقال : يا أصحاب كتاب الخير ويأصحاب كتاب الشر،) وهذا الأخير ما رجحه حيث أورد قراءة الحسن وهى ، "بكتابهم" .

أما معنى :(أمهاتهم) فقد روى عن محمد بن كعب، وحكمته ؛أنَّ الناس يوم القيامة يدعون بأسماء أمهاتهم ، وقد وصفها (الزمخشري) بالحكمة البهية مستنكرا إياها ، وكذلك يردها (القرطبى) فيرى أن فى هذا القول نظرًا ؛ وذلك لما جاء فى الحديث الصحيح عن(ابن عمر) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إذا جمع الله الأولين والأخرين يوم القيامة يرفع لكل غادر لواء فيقال :هذه غدرة فلان بن فلان " " خرجه مسلم والبخاري. فقوله: " هذه غدرة فلان ابن فلان دليل على أن الناس يدعون فى الآخرة بأسمائهم وأسماء آبائهم ، وهذا يرد على من قال: إنما يدعون بأسماء أمهاتهم لأن فى ذلك سترًا على آبائهم . والله أعلم . قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴾ هذا يقوى قولَ مَنْ قال :" بإمامهم"؛ "بكتابهم ". ويقويه أيضًا قوله ﴿ وكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾[2].

[1] انظرهذه الأقوال مسهبة : الطبرى : جامع البيان ٥٠٢/١٧ ، و ، و الزمخشرى : الكشاف ٢/ ٦٨٢ والقرطبى : الجامع لأحكام القرآن ٢٩٧/١٠ ،٥٠٣والرازي : مفاتيح الغيب ٣٧٦/٢١ – وحديث أبي هريرة / في مسند أحمد/ مسند أبي هريرة رضي الله عنه رقم/ ٧٦٣٣.

[2] القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ٢٩٨/١٠ لم أجد تخريج هذه الرواية عند الطبري ،والآية ١٢/ يس.
والحديث أخرجه البخاري ك الأدب – باب مايدعي الناس بآبائهم رقم / ٦١٧٧.
وأخرجه مسلم ك الجهاد والسير – باب تحريم الغدر – رقم ١٧٣٥.

وعليه يتبين أن القرطبي فسرها : (بكتابهم) لقوله تعالى ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴾ و﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾. وتبعه (الزمخشريُّ) في ذلك ووافقه. .

أما حجة المفسرين (الإمام الطبري)، فنراه يرجح معنى، (مَنْ كان يُقتدى به في الدنيا ويُأتمُ به)، لأنَّ الأغلب من استعمال العرب "الإمام" فيما ائتم واقتدى به، ويُوصل رأيَه بقاعدة وهي؛ توجيه كلام الله إلى الأشهر أولى ما لم تثبت حجة بخلافة يجب التسليم لها [١] .

فالمعنى فى اللسان العربي: "الإمام" كل مَنْ ائتم به قومٌ كانوا على الصراط المستقيم أو كانوا ضالين ، وعن ابن سيده : "الإمام" ما ائتم به مِن رئيس وغيرِه . [٢]

أما أن لفظة (الإمام) جمعُ (أم) فهذا مردود ، فهى تجمع على "أئمة" وفى التنزيل العزيز ﴿فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ ﴾ [التوبة: ١٢].

ف(أم) تجمع على (أمات) و(أمهات) ، والأمهات للناس والأمات للبهائم . [٣]

ولذلك يستنكر(الزمخشري) قول من قال إن: (الإمام) جمع (أم) فيسأل ؛ أيهما أبدعُ أصحةُ لفظه؟، أم بهاءُ حكمته ؟

وقد بين (القرطبي) الحكمة، وسببَ ردها ؛بأنَّ الخلائق يدعون بأسمائهم وأسماء آبائهم لا بأسماء أمهاتهم . ولذا وصفها (الزمخشري) – مستنكرًا – بالحكمة البهية .

ف(الزمخشري) يتبع (الطبرى)،في ضابطه :(أن هذا توجيه إلى الأجهل الأنكر والأولى توجيه وتأويل القرآن إلى الأشهر الأعرف.)ويتفق مع (القرطبي) في أن معنى" بإمامهم ":" بكتابهم "، فاللافت للنظر أن (الزمخشري) لم يخرج عن أقوال أهل السلف.

ولنأت لمن اتفق مع (الزمخشري) فنري (أبا حيان) ينقل عن (الزمخشري)ويؤيده في وصفه هذا ، وكذلك يؤيد قول (ابن عطية)فى أن :معنى اللفظ عام ؛ أى: يعم كل ماذكره (الزمخشري) عن السلف ، فقد قال ابن عطية: (الإمام يعم هذا كله لأنه مما يؤتم به)[١] .

---

[١] **الطبرى : جامع البيان ٥٠٣/١٧**

[٢] **ابن منظور : لسان العرب مادة (أم) باب الميم فصل الهمزة، الأزهرى : تهذيب اللغة مادة (أم)**

[٣] **ابن منظور : لسان العرب مادة : أم**

وللرازى تفسيريخالف ما سبق وهو؛(الأخلاق الباطنة)حيث يقول : (أنواع الأخلاق الفاضلة والفاسدة كثيرة والمستولى على كل إنسان نوع من تلك الأخلاق فمنهم من يكون الغالب عليه الغضب ومنهم من يكون الغالب عليه شهوة النقود أو شهوة الضياع ومنهم من يكون الغالب عليه الحقد والحسد وفى جانب الأخلاق الفاضلة منهم من يكون الغالب عليه العفة، أو الشجاعة، أو الكرم أو طلب العلم، والزهد إذا عرفت هذا فنقول : الداعى إلى الأفعال الظاهرة من تلك الاخلاق الباطنة فذلك الخلق الباطن كالإمام له والملك المطاع والرئيس المتبوع فيوم القيامة إنما يظهر الثواب والعقاب بناء على الافعال الناشئة من تلك الأخلاق[٢]) .

ولم أعثر على أثر من أهل السلف يعضدُ قولَ (الرازي) فهل نصفه بالبدعي من التفاسير؟

ويلحق بهذا، أَنَّ أشبه المعاني بظاهر الآية أولى من غيره من التأويلات التى ليس على صحتها دلالة من ظاهر التنزيل ولا خبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم .

ويشهد على ذلك تفسير " وابتغوا ما كتب الله لكم " من قوله تعالى : ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[سورة البقرة: ١٨٧] .

حيث يذكر (الزمخشري) وجوهاعديدة وهى :(اطلبوا ما قسم الله لكم وأثبت فى اللوح من الولد بالمباشرة ، أى لا تباشروا لقضاء الشهوة وحدها ولكن لابتغاء ما وضع الله له النكاح من التناسل ، وقيل هو نهى عن العزل لأنه فى الحرائر . وقيل : وابتغوا المحل

---

[١] **أبو حيان : البحر المحيط ٨٧/٧**
وابن عطية : المحرر الوجيز ٤٧٣/٣
وبقوله زيادة : (الإمام هو ما يؤتم به ويهتدى به فى المقصد) لم يذكرها أبو حيان .
[٢] **الرازي : مفاتيح الغيب ٣٧٦/٢١**

الذى كتبه الله لكم وحلله دون ما لم يكتب لكم من المحل المحرم، وعن قتادة : وابتغوا ما كتب الله لكم من الإباحة بعد الحظر، وقرأ ابن عباس (واتبعوا) وقرأ الأعمش (وأتوا) . وقيل معناه : واطلبوا ليلة القدر وما كتب الله لكم من الثواب إن أصبتموها وقمتموها، وهو قريب من بدع التفاسير [١]).

إنّ معنى ؛(ابتغاء الولد)هوما عليه جمهور المفسرين وقد جاءت به الروايات عن ابن عباس ومجاهد والسُّدِّى والضحاك والحكم به عيينة ومجاهد . [٢]

ويرجحه القرطبى ، لأن اللفظ (ابتغوا) جاء عقيب قوله (فالآن باشروهن) . [٣]

أما المعنى ، (الموصوف بالبدعي)؛ أي:(اطلبوا ليلة القدر)، فهو مروى عن ابن عباس ومعاذ بن جبل . [٤]

ولعل السبب في وصف (الزمخشري) هذا القول بأنه؛ (قريب من بدع التفاسير)، وليس بدعيا خالصا ومستغرقا فى البدعة ،فلأن جميع معاني الخير قد تدخل في قوله تعالي "وابتغوا ما كتب الله لكم"[٥] .هذه واحدة والأخرى ما رآه (الطبري)أن :

(أشبه المعاني بظاهر الآية قول من قال معناه "وابتغوا ما كتب لكم من الولد"، لأنه عقيب قوله (فالآن باشروهن) بمعنى : جامعوهن، فلأن يكون قوله (وابتغوا ما كتب الله لكم) بمعنى: وابتغوا ما كتب الله فى مباشرتكم إياهن من الولد والنسل، أشبه بالآية من غيره من التأويلات التى ليس على صحتها دلالة من ظاهر التنزيل ، ولا خبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم) . [٦]

---

[١] **الزمخشري : الكشاف ٢٣٠/١ – ٢٣١**

[٢] **أنظر : الطبرى : جامع البيان ٥٠٦/٣-٦٠٦ ، والقرطبى : الجامع لأحكام القرآن ٣١٨/٢-٣١٩**

[٣] **الطبرى : جامع البيان ٦٠٦/٣**

[٤] **انظر : الطبرى : جامع البيان ٦٠٦/٣ والقرطبى : الجامع لأحكام القرآن ٣١٩/٢ بتصرف يسير.**

[٥] **الطبرى : جامع البيان ٦٠٦/٣**

[٦] **السابق والجزء والصفحة نفسهما**

ويتفق أبو حيان مع (الزمخشري) ، لأنَّ هذا المعنى ترجحه قراءة الأعمش (وأتوا ما كتب الله لكم)، وهى قراءة شاذة لمخالفتها سواد المصحف . [١]

أما (الرازي) فنجده لا يرى بأسًا من معنى : (اطلبوا ليلة القدر). على الرغم من أنَّ جمهور المفسرين استبعدوا هذا الوجه .

وحجته " أنَّ الإنسان ما دام قلبه مشتغلًا بطلب الشهوة واللذة لا يمكنه حينئذ أن يتفرغ للطاعة والعبودية والحضور ، أما إذا قضى وطره وصارًا فارغًا من طلب الشهوة يمكنه حينئذٍ أن يتفرغ للعبودية ، فتقدير الآية : فالآن باشروهن حتى تتخلصوا من تلك الخواطر المانعة عن الإخلاص فى العبودية، وإذا تخلصتم منها فابتغوا ما كتب الله من الإخلاص فى العبودية فى الصلاة والذكر والتسبيح والتهليل وطلب ليلة القدر، ولا شك أن هذه الرواية على هذا التقدير غير مستبعدة ". [٢]

وهذا موضع آخر (للرازي)؛ يفسرُفيه بالأقوال البدعية[٣].

وننتقل لشاهد آخر؛ لفظة (جزء) وادعاء أنها (اسم للإناث) فى قوله تعالى ﴿ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا ۚ إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ﴾ [الزخرف /١٥].

فيقول (الزمخشري) : ومعنى(من عباده جزءًا) أن قالوا :الملائكة بنات الله ، فجعلوهم جزءًا له وبعضًا ، كما يكون الولد بضعة من والده وجزءًا له، ومن بدع التفاسير : تفسير(الجزء)بالإناث وادعاء أن (الجزء) فى لغة العرب: اسم للإناث، وما هو إلاَّ كذب على العرب، ووضع مستحدث منحول ، ولم يقنعهم ذلك حتى اشتقوا منه : أجزأت المرأة ، ثم صنعوا بيتًا وبيتًا :

إِنْ أَجْزَأَتْ حُرةٌ يَوْمًا فلا عَجَبَ قَدْ تُجْزِئُ الحُرَةُ المِذْكَارَ أَحْيَانًا [٤]

أولا :ما ذكره (الزمخشري) من التفسير المشهور ؛قولهم (الملائكة بنات الله) روى عن مجاهد، والسدى، ورجحه (الطبري)[٥]، و(القرطبي[١])، و(أبو حيان)[٢]، و(الرازي) [٣].

[١] أبو حيان : البحر المحيط ٢١٥/٢
[٢] الرازي : مفاتيح العلوم ٢٧٢/٥
[٣] انظر ص١٣ من البحث تفسير قوله "بامامهم".
[٤] الزمخشري : الكشاف ٢٤١/٤
[٥] الطبرى : جامع البيان ٥٧٧/٢١

ثانيا : ما وصفه(ببدع التفاسير)؛ وأنه كذب علي العرب ؛بأن معنى "الجزء" الإناث، فقد أنكره (الزجاج)حيث قال : " وقد أنشدنى بعض أهل اللغة بيتًا يدل على أن معنى "جزء" معنى "الإناث" ولا أدرى البيت قديم أم مصنوع " [٤].

وقال أيضًا : (ولم أجده فى شعر قديم ولا رواه عن العرب الثقات) [٥].

و يستنكر (الأزهرى) هذا المعنى بقوله: (ولا أدرى "بالجزء" بمعنى "الإناث" ولم أجده فى شعر قديم ولا رواه عن العرب الثقات ولا يعبأ بالبيت ... لأنه مصنوع) [٦] وينص (أبو جعفر النحاس)على أن ما عليه جماع الحجة من أهل التفسير واللغة أن "الجزء": النصيب، وهو مذهب عطاء ومجاهد والربيع بن أنس و الضحاك و ابن عباس ومحمد بن يزيد .

وهذه الحجة الأولى ، والأخرى؛ نسق الكلام لأن بعده ، قوله تعالى﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا ﴾[٧] [الزخرف :١٩].

أما (الطبرى) فيرى؛ أن الله جل ثناؤه أتبع ذلك قوله ﴿أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ﴾ [الزخرف:١٦] [٨]، وكان هذا السبب فى ترجيحه هذا المعنى فالنحاس والطبري كلاهما فطنا إلى نسق الكلام وسياقه، أما جمهور المفسرين ؛ (القرطبى والرازي وأبو حيان) فإنهم على ما هو محفوظ من كلام العرب، "فالجزء" فى كلام العرب "النصيب" وجمعه "أجزاء"[٩].

---

[١] القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ١٦-٦٩-٧٠

[٢] أبو حيان : البحر المحيط ٣٦٢/٩-٣٦٣

[٣] الرازي: مفاتيح الغيب ٦٢٣/٢٧.

[٤] الزجاج : معانى القرآن ٤٠٦/٤ (المنسوب للزجاج)

[٥] ابن منظور : لسان العرب مادة(جزء) باب الهمزة فصل الجيم .

[٦] الأزهرى : تهذيب اللغة باب الجيم والزاى وانظر : ابن منظور : لسان العرب مادة : جزء باب الهمزة فصل الجيم

[٧] النحاس : إعراب القرآن ٦٨/٤

[٨] الطبرى : جامع البيان ٢١/ ٥٧٧

[٩] الأزهري: تهذيب اللغة باب الجيم والزاي وابن منظور : لسان العرب مادة : جزء باب الهمزة فصل الجيم .

ونلحظ أن هناك سببين اجتمعا وجعلا هذا القول بدعًا من التفسير؛ أولا:جماع الحجة من أهل التفسير واللغة وثانيا:نسق الكلام[١].

وفي موضع آخر من تفسير قوله تعالى: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا﴾ [سورة النساء:١١٧] يقول الطبري إنَّ (الأظهر من معاني " الإناث" في كلام العرب، ما عُرف بالتأنيث دون غيره. فإذا كان ذلك كذلك، فالواجب توجيه تأويله إلى الأشهر من معانيه[٢].

فكأن(الطبري)عندما أسهب القول في معنى (الإناث) في الآية الكريمة لم يكرر كلامه في تفسير – الآية الكريمة– التي نحن بصددها.

ومما سبق تبين أن (الزمخشري) وصف هذا القول بالبدعى لأنه يخالف كلام العرب، ولأنه لغة فاسدة ،والأبيات الشاهدة عليها مصنوعة .

ويلحق بهذه القضية أنه (لا وجه لتقديم شيء فى كتاب الله عن موضعه أو تأخيره عن مكانه إلاَّ بحجة واضحة [٣].)

وذلك فى تفسير قوله تعالى ﴿ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ¤ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴾ [سورة يوسف:٩٨–٩٩].

(فإن قال قائل ، وكيف قال لهم يوسف : (ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين) بعد ما دخلوها، وقد أخبر الله عز وجل أنهم لما دخلوها على يوسف وضم إليه أبويه قال لهم هذا القول) . [٤]

ففى تقديرهذا (التقديم والتأخير) اختلف أهل التأويل ،فتقدير الكلام عند (الزمخشري)؛ (فكأنه قيل لهم اسلموا وأمنوا فى دخولكم إن شاء الله ونظيره قولك للغازى ارجع سالمًا غانمًا إن شاء الله فلا تعلق المشيئة بالرجوع مطلقًا ولكن مقيدًا بالسلامة والغنيمة ، مكيفًا بها ،

[١] النحاس : إعراب القرآن ٦٨/٤
[٢] الطبرى : جامع البيان ١١/ ٤١٨
[٣] الطبرى : جامع البيان ٢٦٦/١٦ وهذا داخل فى الأخذ بظاهر النص .
[٤] السابق ٢٦٥/١٦

والتقدير : ادخلوا مصر آمنين إن شاء الله دخلتم آمنين، ثم حذف الجزاء لدلالة الكلام عليه ثم أعترض بالجملة الجزائية بين الحال وذى الحال). [١]

أما ما قدر من تقديم وتأخير، وذلك بأن قوله (إن شاء الله) موضعها ما بعد قوله (سوف استغفر لكم ربى) فى كلام يعقوب ، يصفه (الزمخشري) بأنه من بدع التفاسير ، وينكره بقوله :(وما أدرى ما أقول فيه وفى نظائره) [٢].

وعزى هذا التفسيرإلي ابن جريح، ورواه الطبرى بسنده؛ (حدثنا القاسم، قال حدثنا الحسين. قال حدثنى حجاج عن ابن جريح قال: سوف أستغفر لكم ربى إن شاء آمنين وبين ذلك ما بينه من تقديم القرآن)[٣].

والمقصود من قول ابن جريح: (وبين ذلك ما بينه من تقديم القرآن) أنه قد دخل بين قوله : (سوف أستغفر لكم ربى) وقوله (إن شاء الله) من الكلام ما قد دخل ، وموضعه عنده أن يكون عقيب قوله (سوف أستغفر لكم ربى) . [٤]

وممن قال بذلك،(القرطبى)، حيث روى عن ابن جريح ؛ أنَّ هذا من تقديم القرآن وتأخيره [٥].

وما فسر به (الزمخشري) الآية الكريمة هوعينُ ما رجحه الطبرىُّ وصوبَه، فهو؛ رواية السُّدى(أن يوسف قال ذلك لأبويه ومن معهما من أولادهما وأهاليهم قبل دخولهم مصر حين تلقاهم)[٦].

كأنه حين استقبلهم نزل بهم فى مضرب أو بيت ثم فدخلوا عليه . [٧]

---

[١] **الزمخشري : الكشاف ٥٠٥/٢-٥٠٦**
[٢] **السابق ٥٠٦/٢**
[٣] **الطبرى : جامع البيان ٢٦٦/١٦**
[٤] **السابق الجزء والصفحة نفسها**
[٥] **القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ٢٦٣/٩**
[٦] **الطبرى : جامع البيان ٢٦٦/١٦**
[٧] **الزمخشري : الكشاف ٥٠٦/٢**

ويبين(الطبرى)الحجة فى قبول ذلك التفسير ورد الآخر بقوله : "لأن ذلك فى ظاهر التنزيل كذلك ، فلا دلالة على صحة ما قال ابن جريج ، ولا وجه لتقديم شيء فى كتاب الله عن موضعه أو تأخيره عن مكانه إلاَّ بحجة واضحة". [١]

ومن المؤكد أن هذه هي الحجة التى من أجلها وصف (الزمخشري) هذا التفسير بالبدعى .

ويتبع أبو حيان (الزمخشري) ويزيد، بأن هذا القول ، فى غاية البعد بل فى غاية الامتناع . [٢]

أما (الرازي) فهو كذلك يقر رواية السُدَّى ، ويستدل بقول ابن عباس رضى الله عنهما بأنَّ (المراد بقوله : ادخلوا مصر أى أقيموا بها آمنين . سمى الإقامة دخولًا لاقتران أحدهما بالآخر .....، ونظيره قوله تعالى ﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ [الفتح : ٢٧].

وقيل إنه عائد إلى الدخول – يقصد قوله (إن شاء الله) على القول الذى ذكرناه أنه قال لهم هذا الكلام قبل أن دخلوا مصر) [٣].

المبحث الثاني

[١] **الطبرى : جامع البيان ٢٦٦/١٦**
[٢] **أبو حيان : البحر المحيط ٣٢٦/٦**
[٣] **الرازي : مفاتيح الغيب ٥١٠/١٨**

إجماع الحجة[١]

قيل في معنى "فوقع الحق "من قوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ¤ فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون﴾ ﴿ الأعراف: ١١٧-١١٨﴾ . أى : أثر في القلوب ، وهذا ما وصفه (الزمخشري) بالقول البدعي ، حيث يقول :

(روى أنها تلقفت ملء الوادى من الخشب والحبال، ورفعها موسى فرجعت عصى كما كانت، وأعدم الله بقدرته تلك الأجرام العظيمة أو فرقها أجزاء لطيفة قالت للسحرة: لو كان هذا سحرًا لبقيت حبالنا وعصينا ." فوقع الحق" فحصل وثبت. ومن بدع التفاسير : فوقع فى قلوبهم، أى فَأَثَرَّ فيها " من قولهم " فأس وقيع "[٢]) [٣].

اتفق المفسرون وأهل السلف على أن " وقع " بمعنى ظهر وتبين[٤]، حيث قال أبو حيان:

(وقال أرباب المعاني "الوقوع" ظهور الشيء بوجوده نازلًا إلى مستقره ، قال القاضى: "فوقع الحق" يفيد قوة الظهور والثبوت وزالت تلك الأعيان التى أتوا بها وهى الحبال والعصى، قال (الزمخشري) : ومن بدع التفاسير فوقع فى قلوبهم أى فأثر فيها من قولهم" فأس وقيع ")[٥].

---

[١] **جزء من عبارة الطبري: جامع البيان ٥/ ٢٧٦. وتتمتها : أنه لا يعارض بالقول الشاذ ما استفاض به القول من الصحابة والتابعين.**

[٢]* **وقع تصحيف في قولهم " فأس وقيع " في "الكشاف" طبعة المكتبة التجارية بمصر، حيث جاءت " قاس وقيع"، والمقصود بها كالحِدإ الوقيع .**
فالفأس ذات الرأسين، فإن أبا عبيد روى عن الأصمعي وأبي عبيدة أنهما قالا، يقال: لها (الحِدأة) على عنبة، وجمعها (حِدأ) بكسر الحاء وأنشد قول الشماخ بالكسر (كالحِدإ الوقيع) يعني : المحدد، فإذا كان لها رأس واحد فهي الفأس، وانظر:
أ- الأزهري: تهذيب اللغة – مادة (حدأ).
ب- ابن سيده: المخصص – مادة (حدأ) باب (الهمزة) فصل (الحاء المهملة).
ج- ابن منظور: لسان العرب– مادة (حدأ) باب (الهمزة) فصل (الحاء المهملة).

[٣] **الزمخشري / الكشاف /٤٩/٩**

[٤] **انظر : الطبرى جامع البيان ١٣/٣١ – ما روى عن مجاهد ، والرازي : مفاتيح الغيب ٣٦٦/١٤**

[٥] **أبو حيان : البحر المحيط ١٣٩/٥ . والقاضى هو ابن عطية : المحرر الوجيز انظر قوله ٤٤٠/٢ حيث قال : (سطوع البرهان وظهور الإعجاز)**

وكذلك يتفق مع (الزمخشري) في أنَّ (فوقع في قلوبهم) من بدع التفاسير فلم يرو عن أحدٍ من السلف هذا التفسير.

وللطاهر بن عاشور نكتة لطيفة فى حقيقة (الوقوع) في أنه استعير لظهور أمر رفيع وفى اختيار الحق سبحانه وتعالى للفظ " وقع " ، فقد قال :

" تلقف ما يأفكون ". والوقوع حقيقته سقوط الشيء من أعلى إلى الأرض ومنه : وقع الطائر ، إذا نزل إلى الأرض ، واستعير الوقوع لظهور أمر رفيع القدر ؛ لأن ظهوره كان بتأييد إلهى فشبه بشيء نزل من علو، وقد يطلق (الوقوع)على الحصول؛ لأن الشيء الحاصل يشبه النازل على الأرض ، وهى استعارة شائعة قال تعالى : ﴿وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾ ﴿الذاريات : ٦﴾ أى : حاصل وكائن ، والمعنى: فظهر الحق وحصل ،ولعل فى اختيار لفظ (وقع)، هنا دون (نزل) مراعاة لفعل الإلقاء لأن الشيء الملقى يقع على الأرض فكان وقوع العصا على الأرض وظهور الحق مقترنين ". [1]

وكذلك في تعيين وتفسير (مجمع البحرين)من قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ [الكهف : ٦٠]

يقول (الزمخشري) :"المكان الذي وعد فيه موسى لقاء الخضر عليهما السلام، وهو ملتقى بحري فارس والروم مما يلي المشرق. وقيل طنجة. وقيل أفريقية. ومن بدع التفاسير أن البحرين موسى والخضر، لأنهما كانا بحرين في العلم[2].

وقد تعددت الراويات فى تعيين (مجمع البحرين) ، فعن قتادة ومجاهد أنهما بحرا فارس والروم[3]، وكذلك روى عن ابن عباس أنه ؛ملتقى البحرين [4] وعن محمد بن كعب أنه ؛طنجة[5]، وعن أبى بن كعب أنه ؛إفريقية . [1] وقيل غير ذلك [2].

---

[1] **الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير ٥٠/٩ .**
[2] **الزمخشري : الكشاف ٧٣١/٢**
[3] **الطبرى : جامع البيان ٥٥/١٨ـ ٥٦**
[4] **السيوطى : الدر المنشور ٤٠٩/١٥ ،ورواية ابن عباس عند الطبرى بها بياض فى الأصل كما ذكر الشيخ / شاكر فى الهامش ٥٥/١٨**
[5] **الطبرى : جامع البيان ٥٥/١٨**

أما أنَّ المقصود بالبحرين ؛(موسى والخضر) فهذا " قول ضعيف " وحكى عن ابن عباس، ولا يصح، فإن الأمر بُين من الأحاديث أنه ؛ إنما وسم له بحر ماء ، وسبب هذه القصة ما خَرَّجَهُ الصحيحان عن أُبَيّ بن كعب أنه سمع رسول الله عليه وسلم يقول : (إن موسى عليه السلام قام خطيبًا فى بنى إسرائيل فسئل: أى الناس أعلم، فقال: أنا فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه فأوحى الله إليه إن لى عبدًا بمجمع البحرين هو أعلم منك قال موسى يارب فكيف لى به قال تأخذ معك حوتًا فتجعله فى مكتل

فحيثما فقدت الحوت فهو ثم) وذكرالحديث واللفظ للبخارى .

قال ابن عباس : " لما ظهر موسى وقومه على أرض مصر أنزل قومه مصر، فلما استقرت بهم الدار أمره الله أن ذكرهم بأيام الله، فخطب قومه فذكرهم ما أتاهم الله من الخير والنعمة إذ نجاهم من آل فرعون، وأهلك عدوهم ، واستخلفهم فى الأرض، ثم قال : وكلم الله نبيكم تكليمًا ، واصطفاه لنفسه، وألقى على محبة منه، وآتاكم من كل ما سألتموه، فجعلكم أفضل أهل الأرض، ورزقكم العز بعد الذل، والغنى بعد الفقر، والتوراة بعد أن كنتم جهالًا، فقال له رجل من بنى إسرائيل : عرفنا الذى تقول ، فهل على وجه الأرض أحد أعلم منك يانبى الله ؟ قال : لا، فعتب الله عليه حين لم يرد العلم إليه، فبعث الله جبريل : أن ياموسى وما يدريك أين علمى ؟ بلى ! إن لى عبدًا بمجمع البحرين أعلم منك، وذكر الحديث. قال علماؤنا: وقوله فى الحديث : (هو أعلم منك) أى بأحكام وقائع مفصلة، وحكم نوازل معينة، لا مطلقًا بدليل قول الخضر لموسى: إنك على علم علمكه الله لا أعلمه أنا، وأنا على علم علمنيه لا تعلمه أنت، وعلى هذا فيصدق على كل واحد منهما أنه أعلم من الآخر بالنسبة إلى ما يعلمه واحد منهما ولا يعلمه الآخر، فلما سمع موسى هذا تشوقت نفسه الفاضلة، وهمته العالية، لتحصيل علم ما لم يعلم، وللقاء من قيل فيه : إنه أعلم منك، فعزم فسأل سؤال الذليل بكيف السبيل ، فأمر بالارتحال على كل حال . وقيل له: احمل معك حوتًا مالحًا فى مكتل – وهو الزنبيل – فحيث يحيا وتفقده فثم السبيل، فانطلق

[١] القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ١١/٩

[٢] القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ٩، ١٠ / ١١

مع فتاة لما واتاه، مجتهدًا طلبًا قائلًا: " لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضى حقبًا) [١].

ويصف(أبو حيان)هذا التفسير بأنه ؛(شبيه بتفسير الباطنية وغلاة الصوفية، والأحاديث تدل على أنهما بحرا ماء) [٢].

ولا يفوته أن ينص على بدعية هذا القول ؛ فيتفق مع (الزمخشري) كعادته في تلك المواضع.

أما (الرازي) فيرى أنه " ليس فى اللفظ مما يدل على تعيين هذين البحرين فإن صح بالخبر الصحيح شيء فذاك ، وإلاَّ فالأولى السكوت عنه[٣].

وفي رأيه هذا؛ تلميح بموافقته للزمخشري، وإن كان قد ذكر هذا القول ولم يعقب عليه.

ويعين الطاهر بن عاشور هذا المكان (مجمع البحرين) تعينًا دقيقاً، حيث يقول:

"ومجمع البحرين لا ينبغى أن يختلف فى أنه مكان من أرض فلسطين. والأظهر أنه مصب نهر الأردن فى بحيرة طبرية فإنه النهر العظيم الذى يمر بجانب الأرض التى نزل بها موسي – عليه السلام – وقومه . وكانت تسمى عند الإسرائيليين بحر الخليل، فإن موسي – عليه السلام – بلغ إليه بعد مسير يوم وليلة راجلًا فعلمنا أنه لم يكن مكانًا بعيدًا جدًا،

وأراد موسى أن يبلغ ذلك المكان لأن الله أوحى إليه أن يجد فيه العبد الذى هو أعلم منه فجعله ميقاتًا له[٤]).

والذي يظهر ، أن السبب الذى جعل (الزمخشري) يصف هذا القول بالبدعى هو؛أن الأحاديث الصحيحة بينت أن الله – عز وجل– أوحى إلى موسى عليه السلام

---

[١] **القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ج١١، ص ٩،١٠.**
والحديث أخرجه البخاري، كتاب: كتابة العلم، باب: مايستحب للعالم إذ سئب: أي الناس أعلم؟ فَيكَلُ العلمَ إلى الله حديث رقم/١٢٢.
وكتاب : أحاديث الأنبياء، باب: حديث الخضر مع موسى عليهما السلام/ حديث رقم / ٣٤٠١.
[٢] **أبو حيان : البحر المحيط ١٩٩/٧-٢٠٠**
[٣] **الرازي : مفاتيح الغيب ٤٧٩/٢١**
[٤] **الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير ٣٦٢/١٥**

المكان الذى به ماء . وعلى كل الاحتمالات فى تعيين ذلك المكان لا يمكن أن يكون شخصين ؛ أى؛ موسى والخضر عليهما السلام .

وهنا نقول إن (الزمخشري) ينزع إلى الأدلة النقلية ويجعلها معيارًا في تفسيره. وفي حكمه على بعض الأقوال.

وكذلك الموقف المذهبي والفرقي قد يكون سببًا آخر، حيث كان تأويل الباطنية، بأنهما موسى والخضر عليهما السلام.

ومن التفسير البدعي أن لفظة (ألوف)بمعنى (متألفون) من قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ....﴾ [البقرة : ٢٤٣].

حيث يقول (الزمخشري) : ((وهم ألوف) فيه دليل على الألوف الكثيرة، واختلف فى ذلك ، فقيل عشرة، وقيل ثلاثون، وقيل سبعون، ومن بدع التفاسير (ألوف) متألفون، جمع آلف كقاعد وقعود)[١].

وهذا التفسير(الموصوف بالبدعي)، لم يرو إلاَّ عن ابن زيد، وقد أخرجه الطبرى بسنده (حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب، قال ابن زيد فى قول الله : " ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم " ، قال : قرية كانت نزل بها الطاعون، فخرجت طائفة منهم وأقامت طائفة ، فألح الطاعون بالطائفة التى أقامت ، والتى خرجت لم يصبهم شيء . ثم ارتفع، ثم نزل العام القابل ، فخرجت طائفة أكثر من التى خرجت أولًا فاستحر الطاعون بالطائفة التى أقامت . فلما كان العام الثالث، نزل فخرجوا بأجمعهم وتركوا ديارهم ، فقال الله تعالى ذكره : " ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف"، ليست الفرقة أخرجتهم، كما يخرج للحرب والقتال، قلوبهم مؤتلفة، إنما خرجوا فرارًا فلما كانوا حيث ذهبوا يبتغون الحياة ، قال لهم الله : "موتوا"، فى المكان الذى ذهبوا إليه يبتغون فيه الحياة. فماتوا ، ثم أحياهم الله، " إن الله لذو فضل على الناس ولكن

[١] الزمخشري : الكشاف ١/ ٢٩٠

أكثر الناس لا يشكرون " قال : ومر بها رجل وهى عظام تلوح فوقف ينظر فقال : أنى يحيى هذه الله بعد موتها [١].

أما تفسيرها على أنها جمع "ألف" من العدد وعُنى بها كثرة العدد، فقد استفاضت به الروايات عن جمهور السلف ، ولكنهم اختلفوا فى تعيين العدد وحقيقته . [٢]

ويرى الطبرى أن أولى القولين فى تأويل قوله : "وهم ألوف" بالصواب، قول من قال " عنى بالألوف كثرة العدد دون قول من قال: " عنى به الائتلاف " ، بمعنى ائتلاف قلوبهم ، وأنهم خرجوا من ديارهم من غير افتراق كان منهم ولا تباغض ، ولكن فرارًا : إما من الجهاد، وإما من الطاعون لإجماع الحجة على أن ذلك تأويل الآية، ولا يعارض بالقول الشاذ ما استفاض به القول من الصحابة والتابعين [٣].

أما فى تعيين العدد فيرى أنَّ أولى الأقوال – فى مبلغ عدد القوم الذين وصف الله خروجهم من ديارهم– بالصواب، قول من حد عددهم بزيادة عن عشرة آلاف، دون من حده بأربعة آلاف، وثلاثة آلاف، وثمانية آلاف. وذلك أن الله تعالى ذكره أخبر عنهم أنهم كانوا ألوفًا، وما دون العشرة آلاف لا يقال لهم: " ألوف " وإنما يقال " هم آلاف " إذا كانوا ثلاثة آلاف فصاعدا إلى العشرة آلاف . وغير جائز أن يقال : هم خمسة ألوف، أو عشرة ألوف وإنما جمع قليله على " أفعال "، ولم يجمع على " أفعل " مثل سائر الجمع القليل الذى يكون ثانى مفرده ساكنًا للألف التى فى أوله . وشأن العرب فى كل حرف كان أوله، ياء أو واوا أو ألفًا، اختيار جمع قليله على أفعال، كما جمعوا " الوقت " " أوقاتًا " و" اليوم " "أيامًا " ، و" اليسر " و " أيسارًا"، للواو والياء اللتين فى أول ذلك . وقد يجمع ذلك أحيانًا على " أفعل "، إلا أن الفصيح من كلامهم ما ذكرنا[٤] ، ولكن (أبو حيان) له توجيه آخر؛ وهو أنه قد يستعار أحد الجمعين للآخر وإن كان الأصل استعمال كل واحد منهما فى

---

[١] **الطبرى : جامع البيان ٢٧٣/٥ – ٢٧٤**
[٢] **أنظر : الطبرى : جامع البيان ٢٧٦/٥ – ٢٧٧ القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ٢٣١/٣**
[٣] **الطبرى : جامع البيان ٢٧٦/٥**
[٤] **السابق ٢٧٧/٥**

موضوعه وهذه التقديرات كلها لا دليل على شيء منها ، ولفظ القرآن : وهم ألوف لم ينص على عدد معين ويحتمل أن لا يراد ظاهر جمع ألف ، بل يكون ذلك

المراد منه التكثير، كأنه قيل : خرجوا من ديارهم وهم عالم كثيرون ، لا يكادون يحصيهم عاد، فعبر عن هذا المعنى بقوله: وهم ألوف، كما يصح أن تقول : جنتك ألف مرة، لا تريد حقيقة العدد إنما تريد جئتك مرارًا كثيرة لا تكاد تحصى من كثرتها[١] .

ويرى القرطبى: أن الصحيح أنهم زادوا على عشرة آلاف لقوله تعالى (وهم ألوف) وهو جمع الكثرة، ولا يقال فى عشرة فما دونها ألوف)[٢].

واستشعر من قول (الزمخشري)، أنه يرى أنَّ العدد ليس على الحقيقة ، وإنما المراد منه التكثير، فقد قال : (فيه دليل على الألوف الكثيرة).

أما عن وصف قول ابن زيد بالبدعى، فلأنه ؛قول شاذ لم تستفض به الروايات،كما قال الطبرى وقد يكون لسبب آخر، لمحه أبو حيان، وهو" أنَّ ورود الموت عليهم وهم كثرة عظيمة تفيد مزيد اعتبار، وأما وروده على قوم بينهم ائتلاف فكوروده وبينهم اختلاف فى أن وجه الاعتبار لا يتغير حذر الموت هذا علة لخروجهم، لما غلب على ظنهم الموت بالطاعون أو بالجهاد ، حملهم على الخروج ذلك، وهو مفعول من أجله، وشروط المفعول له موجودة فيه من كونه مصدرًا متحد الفاعل والزمان"[٣] .

وفي تفسير"وأرضا لم تطئوها"من قوله تعالى: ﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ [الأحزاب : ٢٧] .

يعيب (الزمخشري) على من فسرها (أنه أراد نساءهم) ، فيقول : " عن الحسن رضى الله عنه : فارس والروم ، وعن قتادة رضى الله عنه : كنا نحدث أنها مكة وعن مقاتل رضى الله عنه هى خيبر ، وعن عكرمة : كل أرض تفتح إلى يوم القيامة. ومن بدع التفاسير : أنه أراد نساءهم" [٤].

---

[١] **أبو حيان: البحر المحيط ٥٦١/٢.**
[٢] **القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ٢٣١/٣**
[٣] **أبو حيان : البحر المحيط ٢٦١/٥**
[٤] **الزمخشري : الكشاف ٥٣٤/٣**

ورجح الطبرى العموم، وأن كل ما ذكره الرواة فى تعيين هذه الأرض؛ داخلٌ فى قوله تعالى ، ﴿وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا ﴾ لأنه تعالى ذكره لم يخصص من ذلك بعضًا دون بعض . [1]

وكذلك يرى (أبو حيان) أنَّ لا وجه لهذه التخصيصات وأنَّ قوله تعالى به دلالة لوعد صادق فى فتح البلاد ، كالعراق والشام واليمن ومكة وسائر فتوح المسلمين . [2]

وأنه عز وجل ختم الآية بقدرته على كل شيء ، ففى ذلك إشارة إلى فتحه على المسلمين الفتوح الكثيرة [3] ، ويرى (الرازي) أنَّ بها تأكيد على قول من قال أنها ما سيؤخذ بعد بنى القريظة ووجهه هو أن الله تعالى لما ملكهم ملك البلاد ووعدهم بغيرها دفع استعباد من لا يكون قوى الاتكال على الله تعالى، وقال : أليس الله ملككم هذه فهو على كل شيء قدير يملككم غيرها . [4]

ويرجح (الطاهر بن عاشور) قول من قال؛ إنها أرض خيبر، وأنه أظهر الأقوال وذلك لأن؛ المسلمين فتحوها بعد غزوة قريظة بعام وشهر [5].

أما القول(بأنه أراد نساءهم)، فلم يرو عن أحد من السلف. ولعل هذا السبب فى وصف (الزمخشري) إياه بالبدعى، فهو قول شاذ.

فكل الروايات عن السلف تشير إلى المعنى الحقيقى للأرض وإنْ اختلفت فى تعيينها ، وفي عدم تعينيها عند (الزمخشري)، إشارة منه إلى عمومها وأنها، (كل أرض تفتح إلى يوم القيامة .)

وفى معنى لفظة (سليم) من قوله تعالى : ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٩].

ينكر (الزمخشريُّ) تفسيرَها (باللديغ)فيقول: (ومعنى سلامة القلب : سلامته من آفات الكفر والمعاصى .. ومن بدع التفاسير: تفسير بعضهم السليم باللديغ من خشية الله ...) [6].

---

[1] **الطبرى : جامع البيان ٢٠/٢٥٠- ٢٥١**
[2] **أبو حيان : البحر المحيط ٨/٤٧٠**
[3] **انظر : الطبرى : جامع البيان ٢٠/٢٥١ ، وأبو حيان : البحر المحيط ٨/ ٤٧٠**
[4] **الرازي : مفاتيح الغيب ٢٥/١٦٥**
[5] **الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير ٢١/ ٣١٣**
[6] **الزمخشري : الكشاف ٣/٣٢١**

ومعنى(سلامته من آفات الكفر) روى عن مجاهد فى روايتين ، وقتادة وابن زيد ، وروي عن الضحاك أنه "الخالص من الشرك " .

وقد رجحه (الطبرى)[١] ، ويرى (القرطبى)[٢]إن قول (الضحاك) يجمع شتات الأقوال بعمومه، وهو حسن، أى الخالص من الأوصاف الذميمة والمتصف بالأوصاف الجميلة وقال به(أبو حيان)، ورأى

أنه التفسير الأعم؛ أى أعم من قول سفيان : بأنه هو الذى يلقى ربه وليس فى قلبه شيء غيره [٣] . . وكذلك صححه (الرازي)[٤] وفصل القول فيه تفصيلًا،

أما التفسيرالبدعى ؛ (اللديغ) ، فقد روى عن الجُنَيَّد [٥] أنه قال : السليم فى اللغة اللديغ ، فمعناه أنه قلب كاللديغ من خوف الله [٦].

ولم يرو عن أحد غيره، وهو ، فى اللسان العربي ،: فعيل من السَّلْم، وإنما سمى اللديغ سليمًا لأنهم تطيروا من اللديغ فقلبوا المعنى كما قالوا للحبشى أبو البيضاء وكما قالوا(للفلاة مفازة)تفاءلوا بالفوز وهى مهلكة فتفاءلوا له بالسلامة ، وقيل إنما سمى اللديغ سليمًا لأنه مسلم لما به أو أسلم لما به [٧].

وقد عرف هذا النوع من الكنايات بأنه من التعريض بشيءٍ لترك التصريح بما يستقبح ذكره، أو يتحرج من ذكره، فقد جعل المبرد من أغراض الكناية: الرغبة عن اللفظ الخسيس المفحش إلى مايدل على معناه من غيره[٨].

كما جعل ابن سنان الكناية: " عما يجب أن يكنى فيه في الموضع الذي لا يحسن فيه التصريح"[٩] .

وإن كان هذا المعنى مقبولًا ومستساغًا عند اللغويين ، فهو مردود عند المفسرين ، وقد صدق (أبو حيان)(الزمخشريَّ) فى وصفه إياه (بالبدعي)، حيث قال : (وقال الجنيد :

---

[١] الطبرى : جامع البيان ٣٦٦/١٩

[٢] القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ١١٤/١٣-١١٥

[٣] أبو حيان : البحر المحيط ١٦٩/٨

[٤] الرازي : مفاتيح الغيب ٥١٧/٢٤

[٥] الحسن بن الجنيد بن أبى جعفر البزار البغدادى ت ٢٤٧ هـ من كبار الآخذين عن تبع الأتباع، صدوق، انظر: تهذيب الكمال المزي، ج٦، ص ٧٨.

[٦] القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ١١٤/١٣.

[٧] ابن منظور : لسان العرب مادة (سلم)باب :الميم فصل:السين

[٨] المبرد: الكامل، ج٢، ص٦.

[٩] ابن سنان: الفصاحة، ص ١٦٣.

بقلب لديغ من خشية الله والسليم : اللديغ، وقال (الزمخشري) : هو من بدع التفاسير وصدق)[1].

فعلى الرغم من أنَّ هذا المعنى في اللسان العربي لكنه مردود عند المفسرين، فلم تعضده روايات السلف، ويشهد لذلك قول ثعلب: (نسلم للتفسير كما جاء) أي كما جاءت به روايات السلف من الصحابة والتابعين وأتباع التابعين.

ويبين (الطاهر بن عاشور)أن المراد من(السلامة،) هنا السلامة المعنوية المجازية، أى الخلوص من عقائد الشرك مما يرجع إلى معنى الزكاء النفسى وضده المريض مرضًا مجازيًا قال تعالى ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [البقرة :١٠] .

والاقتصار على (السليم)هنا لأن السلامة باعث الأعمال الصالحة الظاهرية وإنما تثبت للقلوب هذه السلامة فى الدنيا باعتبار الخاتمة فيأتون بها سالمة يوم القيامة بين يدى ربهم)[2].

وكأن الطاهر بن عاشور يشير بقوله هذا إلى المعنى الحسى والمادى لكلمة (السليم) وأن المراد فى قوله تعالى المعنى اللغوي المجازي.

فالزمخشريُّ فسرها على المعنى المجازي ولذا وصف هذا التفسير " ببدع التفاسير."

المبحث الثالث

توجيه المعنى إلى الشاذ من اللغات مردود[3]

[1] أبو حيان : البحر المحيط ١٦٩/٨ .

[2] الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير ١٥٠/١٩ .

[3] **الطبري ، جامع البيان ٣٢٢/١٢ بتصرف .**

وله عبارات أخرى:

- **غير جائز توجيه معاني كلام الله إلاَّ إلى الأغلب من وجوهها المستعمل بين أهل اللسان الذي نزل به، دون الخفي المجهول، مالم تأت دلالة تدل على غير ذلك ١٧٦/١٥٠**
- **غير جائز توجيه معاني كلام الله إلى غير الأغلب عليه من وجوهة عند المخاطبين به ٢٩١/١٨٠.**

وكذلك: (كتاب الله جل ثناؤه نزل بأفصح لغات العرب، وغير جائز توجيه شيء منه إلى الشاذ من لغاتها وله في الأفصح الأشهر معنى مفهوم ووجه معروف.)

يُقوم (سيبويه) اللهجاتَ ويعطيها درجات ورتبًا؛ فلهجة فى أعلى الرتب وأخرى جيدة وثالثة جائزة ورابعة رديئة وخامسة رديئة جدًا وسادسة قبيحة [١].

حيث يقول : واعلم أن قدحًا من ربيعة يقولون : (منهم) اتبعوها الكسرة ولم يكن السكن حاجزًا حصينًا عندهم (يقصد النون) وهذه لغة رديئة إذا فصلت بين الهاء والكسرة ، فالزم الأصل . لأنك قد تجرى على الأصل ، ولا حاجز بينهما [٢] .

فسيبويه إذًا لم يكتف بوصف اللهجات فى مواضع كثيرة من كتابه، بل إنه رتبها مقامات، وأسكنها منازل، ورفع بعضها فوق درجات ، ولم يعدها كلها حجة ، فلغة الحجازيين هى (اللغة الأولى القدمى) وهى (الحجازية الجيدة) وهى (اللغة العربية القديمة الجيدة) و(بيانها فى كل هذا عربى جيد حجازى).

ثم إن هناك لغة من ترقى عربيته وهم قوم من (قيس وأسد). وهناك لغة ليست جيدة العربية ، وهى (لخشعم)، ولغة (رديئة)وهى لقوم من (ربيعة) ، ولغة رديئة جدًا وهى لناس من (بكر بن وائل). هذا عدا الصفات الأخرى التى وصف بها لهجات لم يحدد أصحابها، فهذا قد تكلم ببعضه العرب وهو رديىءوتلك لغة رديئة ، وذاك أجازوا فيه هذا على ضعفه [٣].

وعلى الجانب الآخر نجد (ابن جنى) يعقد بابًا فى (خصائصه) بعنوان (باب اختلاف اللغات وكلها حجة) .

ويرى أستاذنا د. أحمد سليمان (رحمه الله تعالى) أنَّ ابن جنى أصاب الحقيقة وإن لم يصب كبدها، إذ أنه على حق عندما يرى أن اللهجات تختلف ولكن كلها حجة ، وليس للباحث أن يرد لغة بالأخرى ، لأنها ليست أحق بذلك من رسيلتها[٤].

---

[١] د/ أحمد سليمان : الكتاب من المعيارية والوصفية ص ٧٢ – ص ٧٣

[٢] سيبويه : الكتاب : جـ ٢ ص ٢٩٤ نقلاً عن السابق.

[٣] سيبويه : الكتاب (جـ ٢/ ٢٦٢ – جـ ١/١١٥ / جـ٢ / ٢٩٤ / ٢/٤١٠ / جـ ١ / ٢٣٣ ، جـ ١ ٤٤٨ ، جـ ٢ ٤١٦ نقلًا عن : أ.د/ أحمد سليمان ياقوت (رحمه الله تعالى وحشره مع زمرة العلماء والصديقين) الكتاب بين المعيارية والوصفية، ص ٧٦.

[٤] أ.د/ أحمد سليمان ياقوت : الكتاب بين المعيارية والوصفية ص ٧٨

ثم يدلل على مذهب ابن جني، بالنظر فى القرآن الكريم أننا نجد فى مواضع كثيرة جدًا يستعمل لغات غير لغة قريش ، وأن من يطلع على كتاب (لغات القبائل الواردة فى القرآن الكريم) يتحقق من ذلك.

ويأتى بشواهد من كتاب لغات القبائل الواردة فى القرآن الكريم لأبى عبيد ٢٢٤ هـ .

وكذلك يقول (رحمة الله عليه) : " ولا نطيل أكثر من ذلك ، ويكفى أن نقول إن كتاب أبى عبيد من أوله إلى آخره – اختيار لما فى القرآن الكريم من لهجات القبائل . فكيف تكون هذه اللهجة رديئة – فى رأى سيبويه – وتلك رديئة جدًا ، وثالثة ليست بالجيدة ، ثم يستعملها القرآن الكريم ؟! إذا فإطلاق مثل هذه الصفات على اللهجات لا يأباه المنهج الوصفى فحسب ، بل يأباه أيضًا واقع اللغة ، من حيث إن لكل لهجة أصحابها الذين نطقوا بها، وتعارفوا على التفاهم بها بكل ما لها من خصائص وسمات ، ومن ثم فليس لك أن ترد لهجة بأخرى أو تفضل لهجة على أخرى ، بل الذى للباحث أن يدرس اللهجة من حيث كونها لهجة فى ذاتها ومن أجل ذاتها، وليس من أجل المقارنة أو التفضيل أو ترتيب اللهجات منازل ودرجات.

بل إن أمر احترام اللهجات ليس مقصورًا على الألفاظ التى تنسب إلى مختلف القبائل فحسب ، ولكنه يتعدى ذلك إلى القراءات القرآنية التى تنسب إلى اللهجات ويتجلى ذلك فى قراءة :

١- قوله تعالى : ﴿قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ﴾ [يوسف:٧٢] فقد قرأ الحسن وابن جبير (صواغ) بالغين المعجمة بوزن (غراب) وقرأ يحيى بن يعمر (صوغ) بدون مد وسكون الواو . وقال أبو البقاء "الجمهور على ضم الصاد وألف بعد الواو ويقرأ بغير ألف ، فمنهم من يضم الصاد ومنهم من يفتحها، ويُقرأ صاع الملك ، وكل ذلك لغات "فيه" .

٢-وقوله تعالى ﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ﴾ [طه: ١٨] "قرأ عكرمة و(أهس) بالسين غير المعجمة . قيل : لغتان بمعنى واحد ، وقيل معناها مختلف ، بالسين المعجمة : ضبط الشجر ، وبالسين المهملة :زجر الغنم" .

أفبعد هذا الحديث المفصل عن الألفاظ والقراءات القرآنية التى تنسب إلى القبائل غير قبيلة قريش، يقول سيبويه أو نقول مع سيبويه إن هذه لهجة رديئة وتلك رديئة جدًا وثالثة قبيحة ، إن هذا يناقض الواقع اللغوي، يناقض كمال القرآن وجلاله . [١]

وكذلك يقول: " نحن هنا لا نتعرض للقراءات الشاذة أو القراءات المتواترة ، فليس هذا موضوع بحثنا، ولكننا نقول : إنها قراءات نسبت إلى قبائل من العرب ، وقرئ بها القرآن الكريم ، وهى بذلك تمثل واقعًا لغويًا من شأنه أن يوصف، لا أن يحكم عليه بالرداءة أو بالجودة ، ولا بالقبح أو بالحسن"[٢].

وأستاذنا في رأيه هذا ينتصر (لابن جني) ؛ وعلى الرغم من أن(ابن جنى)الذي احتفى بالشاذ فى(محتسبه)إلا أنه

قد يرجح قراءة على أختها، على اعتبار (الأفشى فى اللغة) [٣] وعلى (المشهور المجمع عليه) [٤].

فمثلًا فى قوله تعالى : ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة : ٣٨].

يقول فى قراءة " هداى " هُدىَّ : " هذه لغة فاشية فى هذيل وغيرهم أن يقلبوا الألف من آخر المقصور إذا أضيفت إلى ياء المتكلم ياء " [٥].

كذلك يصف لغة ما بالمرذولة ، ففى " اضطره " يقول : (أطّرَّه) هذه لغة مرذولة ؛ أعنى إدغام الضاد فى الطاء، فإنها من الحروف الخمسة التى يدغم فيها ما يجاورها ولا تدغم هى فيما يجاورها ، وهى السين والضاد والراء والفاء والميم، ويجمعها فى اللفظ قولهم : ضم شفر، وقد أخرج بعضهم الضاد من ذلك ، وجمعها فى قولهم: مشفر "[٦] .

---

[١] **أ.د/ أحمد سليمان ياقوت : الكتاب بين المعيارية والوصفية، ص ٨٢ .**
- وهذه الدراسة تشير إلى قضية اللغات عند المفسرين فأوصى نفسي والباحثين بدراستها دراسة مستفيضة لمناهج المفسرين وموقفهم من قبول اللغات وردها.
[٢] **السابق ص ٨٢**
[٣] **انظر / ابن جنى / المحتسب ٣٤٥/١ و ١٦٥/١**
[٤] **السابق ١٨٧/٢**
[٥] **نفسه ٨٦/١**
[٦] **نفسه ١٠٦/١**

ومع هذا فإن (أئمة القراء لا تعمل فى شيء من حروف القرآن على الأفشى فى اللغة ، والأقيس فى العربية، بل على الأثبت فى الأثر والأصح فى النقل . والرواية إذا ثبتت عنهم لم يردها قياس عربية ولا فشوُّ لغة ؛ لأن القراءة سنة متّبعة ، يلزم قبولها والمصير إليها) [1].

– وقد أوفى أ.د/ أحمد سليمان ياقوت القضية حقها عند اللغويين، وبين مذاهبهم فيها، وألمح إليها عند المفسرين، فالقضية تحتاج إلى دراسات لمناهج المفسرين من حيث القبول والرد للغات المختلفة.

ويصف (الزمخشري) لغةً من لغات العرب بأنها من (بدع التفاسير)وأنها (لم تسمع من الأثبات الثقات) ، وذلك فى لفظ (الرَّهْبِ).في لغة بني حنيفة وحميربأنه ؛بمعنى (الكم)

فى قوله تعالى ﴿ اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ﴾[القصص: ٣٢] .

حيث يقول :

" والرهب بفتحتين ، وضمتين ، وفتح وسكون ، وضم وسكون . وهو(الخوف) . فإن قلت : ما معنى قوله واضمم إليك جناحك من الرهب ؟ قلت : فيه معنيان ، أحدهما : أن موسى عليه السلام لما قلب الله العصا حية : فزع واضطرب ، فاتقاها بيده كما يفعل الخائف من الشيء فقيل له إن اتقاءك بيدك فيه غضاضة عند الأعداء . فإذا ألقيتها فكما تنقلب حية ، فأدخل يدك تحت عضدك مكان اتقائك بها ، ثم أخرجها بيضاء ليحصل الأمران : اجتناب ما هو غضاضة عليك ، وإظهار معجزة أخرى . والمراد بالجناح : اليد ، لأن يدى الإنسان بمنزلة جناحى الطائر . وإذا أدخل يده اليمنى تحت عضد يده اليسرى ، فقد ضم جناحه إليه. والثانى : أن يراد بضم جناحه إليه : تجلده وضبطه نفسه . وتشدده عند انقلاب العصا، حية حتى لا يضطرب ولا يرهب، استعارة من فعل الطائر ، لأنه إذا خاف نشر جناحيه وأرخاهما . وإلا فجناحاه مضمومان إليه مشمران. ومنه ما يحكى عن عمر بن عبد العزيز أن كاتبًا له كان يكتب بين يديه ، فانفلتت منه فلتة ريح ، فخجل

[1] أبو عمروالدانى : جامع البيان فى القراءات السبع ٥١/١

وانكسر ، فقام وضرب بقلمه الأرض ، فقال له عمر : خذ قلمك، واضمم إليك جناحك ، وليفرخ روعك ، فإنى ما سمعتها من أحد أكثر مما سمعتها من نفسي. ومعنى قوله من الرهب من أجل الرهب، أى : إذا أصابك الرهب عند رؤية الحية فاضمم إليك جناحك : جعل الرهب الذى كان يصيبه سببًا وعلة فيما أمر به من ضم جناحه إليه . ومعنى : واضمم إليك جناحك ، وقوله اسلك يدك فى جيبك على أحد التفسيرين : واحد . ولكن خولف بين العبارتين ، وإنما كرر المعنى الواحد لاختلاف الغرضين، وذلك أن الغرض فى أحدهما خروج اليد بيضاء .

وفى الثانى : إخفاء الرهب . فإن قلت : قد جعل الجناح وهو اليد فى أحد الموضعين مضمومًا وفى الآخر مضمومًا إليه ، وذلك قوله واضمم إليك جناحك وقوله واضمم يدك إلى جناحك فما التوفيق بينهما ؟ قلت: المراد بالجناح المضموم . هو اليد اليمنى ، وبالمضموم إليه : اليد اليسرى وكل واحدة من يمنى اليدين ويسراهما : جناح . ومن بدع التفاسير : أن الرهب : الكم ، بلغة حمير وأنهم يقولون : أعطنى مما فى رهبك ، وليت شعرى كيف صحته فى اللغة ؟ وهل سمع من الأثبات الثقات الذين ترتضى عربيتهم ؟ ثم ليت شعرى كيف موقعه فى الآية ؟ وكيف تطبيقه المفصل كسائر كلمات التنزيل ؟ على أن موسى عليه السلام ما كان عليه ليلة المناجاة إلا زرمانقة من صوف لا كمى لها "[1].

وقد روى عن مقاتل أنه قال : سألتنى أعرابية شيئًا وأنا آكل فملأت الكف وأومأت إليها فقالت : ها هنا فى رهبى تريد فى كمى .

وكذلك روى عن الأصمعى أنه قال :

سمعت أعرابيًا يقول لآخر: (أعطنى رهبك) فسألته عن "الرهب" فقال : الكم ، فعلى هذا يكون معناه اضمم إليك يدك وأخرجها من الكم ، لأنه تناول العصا ويده فى كمه وقوله :" اسلك يدك فى جيبك " يدل على أنها اليد اليمنى ، لأن الجيب على اليسار . ذكره القشيرى قلت: وما فسروه من ضم اليد إلى الصدر يدل على أن الجيب موضعه الصدر[2] .

وأجمع المفسرون على أن " الرهب " بقراءاته المتعددة ، معناه (الخوف) حيث قال (القرطبي):

---

[1] **الزمخشري : الكشاف ٤٠٩/٣ زرمانقة : جبة من صوف وهى عجمية معربة**

[2] **القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ٢٨٥/١٣.**

" وقرأ حفص والسلمى وعيسى بن عمرو وابن أبى إسحاق "من الرهب" بفتح الراء وإسكان الهاء . وقرأ

ابن عامر والكوفيون إلا حفص بضم الراء وجزم الهاء . الباقون بفتح الراء والهاء . واختاره أبو عبيد وأبو حاتم ، لقوله تعالى : ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ ﴿الأنبياء:٩٠﴾ وكلها لغات وهو بمعنى الخوف" [١].

أما عن تفسير الآية ، فقد تعددت أقوال المفسرين وأشهرها، إذا هالك أمر يدك وشعاعها فأدخلها فى جيبك وارددها إليه تعد كما كانت . وقيل : أمره الله أن يضم يده إلى صدره فيذهب عنه خوف الحية . عن مجاهد وغيره ورواه الضحاك عن ابن عباس ، قال فقال ابن عباس : ليس من أحد يدخله رعب بعد موسى عليه السلام ، ثم يدخل يده فيضعها على صدره إلا ذهب عنه الرعب[٢].

ويصف (الرازيُّ) قولَ (الزمخشريّ)، بأنه فى نهاية الحسن ،وأنه أحسن الناس كلامًا فيه [٣] .

ويرى (ابن عطية) أن :من شأن الإنسان إذا فعل ذلك فى أوقات فراغه أن يقوى قلبه ، وقد ذهبت فرقة إلى أن ذلك على المجاز والاستعارة ، وأنه مأموربالعزم على أمر به، وأنه كما تقول العرب : اشدد حيازيمك واربط جأشك أى؛ شمر فى أمرك . وذلك لما كثر تخوفه فى غير ما موطنٌ، قاله : أبو على الفارسى . [٤]

أما (الطاهر بن عاشور) فيرى أنَّ الكلام يؤول بأن وضعَ اليد على الصدر يُذهبُ الخوفُ وقدعزى هذاالقول إلى الضحاك وابن عباس ومجاهد وهو تأويل بعيد . وهذا ميل إلى أن (الجناح)مجاز مرسل مراد به يد الإنسان وللجناح حقيقة ومجازات بين مرسل واستعارة وقد ورد فى القرآن وغيره فى تصاريف معانيه وليس وروده فى بعض المواضع بمعنًى بقاضٍ بحمله على ذلك المعنى حيثما وقع فى القرآن ولذا فالوجه أن قول (واضمم إليك جناحك) تمثيل بحال الطائر إذا سكن عن الطيران أو عن الدفاع جعل كناية عن

---

[١] القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ٢٨٤/١٣

[٢] وانظر الطبرى : جامع البيان ٥٧٥/١٩ ما أخرجه عن مجاهد وقتادة ، وابن زيد أنه قال : فى قوله " من الرهب " قال : مما دخله من الفرق من الحية والخوف ، وقال ذلك الرهب وقرأ قوله تعالى " يدعوننا رغبًا ورهبًا " قال خوفًا وطمعًا . والقرطبي: الجامع لأحكام القرآن ٢٨٤/١٣.

[٣] الرازي : مفاتيح الغيب ٥٩٥/٢٤ .

[٤] ابن عطية : المحرر الوجيز ٢٨٧/٤ .

سكون اضطراب الخوف . ويكون من هنا للبدلية ، أى اسكن سكون الطائر بدلًا من أن تطير خوفًا . وهذا مأخوذ من أحد وجهين ذكرهما (الزمخشري) قيل : وأصله لأبى على الفارسي . [١]

ويتفق(أبو حيان)مع (الزمخشري) فيما وصفه بالتفسير البدعى (للرهب)، وكذلك يجيب على أسئلة (الزمخشري)، عندما سئل : وهل سمع من الأثبات ؟ فيجيب بقوله : وهذا مرويٌ عن الأصمعى، وهو ثقة ثبت وعن سؤاله: كيف موقعه من الآية ؟ يجيب بقوله : فقالوا : معناه أخرج يدك من كمك، وكان قد أخذ العصا بالكم [٢].

ومما سبق يتبين أن المفسرين جميعهم على قول واحد ، وهو أن "الرهب" بمعنى ،(الخوف والفرق والرهبة).

وفى ذلك يقول (الأزهرى):" وأكثر الناس ذهبوا فى تفسير قوله : " من الرهب " أنه بمعنى " الرهبة" ، ولو وجدت إمامًا من السلف يجعل " الرهب " "كُمَّا " لذهبت إليه ، لأنه صحيح فى العربية ، وهو أشبه بسياق الكلام والتفسير . والله أعلم بما أراد"[٣].

ويقصد الأزهرى بقوله : (صحيح فى العربية)؛ لأنه على لغة من لغات العرب؛ (بنى حنيفة وحمير).[٤]

ولكن ما عليه الاعتبار؛ أقوال السلف فهي الأولى بالاتباع ، وإن جاء المعنى على لسان العرب. والزمخشرى يرى أن تلك اللغة من بدع التفاسير ، فهى ليست من المشهور عند العرب ولا من المجمع عليه . وفى ذلك يوافق حجة المفسرين الطبري، حيث قال:" وذلك أن كتاب الله جل ثناؤه نزل بأفصح لغات العرب وغير جائز توجيه شيء منه إلى الشاذ من لغاتها وله فى الأفصح الأشهر معنى مفهوم ووجه معروف " [٥].

---

[١] **الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير ١١٤/٢٠.**

[٢] **أبو حيان: البحر المحيط ، ٣٠٢-٣٠٣.**

[٣] **أ- الأزهرى : تهذيب اللغة مادة : رهب أبواب الراء والهاء.**

ب- ابن منظور : لسان العرب مادة : رهب باب (الباء) فصل (الراء) أبو حيان : البحر المحيط ٣٠٢/٨- ٣٠٣

[٤] **انظر : أبو عبيد : لغات القبائل ص ٩**

وابن منظور : لسان العرب مادة : رهب باب (الباء) فصل (الراء).

[٥] **الطبري / جامع البيان ٨٠/١٠ وقال هذا في أكثر من موضع ، انظر ٨٧/١٤.**

ومن الجلي أن (الزمخشري) إمام رأس الاعتزال يلزم نفسه في مواضع بعينها بضوابط التفسير التي وضعها عمدة المفسرين، (الإمامُ أبو جعفر الطبري)، ويجعل منها اعتبارًا في وصفه لبعض الأقوال بالبدعية.

وما القراءات إلا لغات العرب، وما عليه جل المفسرين، هو :

إجماع الحجة فى القراءة، وأنه لا يجوز ترك قراءة جاء بها المسلمون مستفيضة إلى غيرها [١]، فالقراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها[٢].

وشاهد ذلك قراءة لفظ (فتذكر) من قوله تعالى :

﴿اسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

يقول (الزمخشري) فيها : (ومن بدع التفاسير : فتذكر ، فتجعل إحداهما الأخرى ذكرًا ، يعنى أنهما إذا اجتمعا كانتا بمنزلة الذكر إذا ما دعوا ليقيموا الشهادة) . [٣]

مقصود (الزمخشري) أن فى لفظ (فتذكر) قرائتين ؛ أولهما ؛ (بالتشديد)، تشديد الكاف والزاى أى تنبهها إذا غفلت أو نسيت وهو معنى قراءة الجماعة [٤] ، أى ترديد الذكر من إحداهما على الأخرى ، وتعريفها بأنها نسيت ذلك لتذكر . [٥]

وثانيهما(بالتخفيف)؛ خفف الذال والكاف ابن كثير وأبو عمرو ، وعليه فيكون المعنى؛ أن تردها ذكرًا فى الشهادة لأن شهادة المرأة نصف شهادة ، فإذا شهدتا صار مجموعهما كشهادة ذكر ، وهذا مروى عن سفيان بن عيينة وأبو عمرو بن العلاء . [٦]

وشاهدهم؛ قول العرب (لقد أذكرت بفلان أمه) أى ولدته ذكرًا فهى تذكر به، وهى امرأة مُذْكِر. إذا كانت تلد الذكور من الأولاد . [٧] أماالحجة في رد قراءة (التخفيف) وقبول قراءة (التشديد)ما ذكره (الطبري) حيث رجح قراءة (التشديد)وقال : (اخترنا ذلك فى القراءة

---

[١] **الطبرى : جامع البيان ٥٦/٦**

[٢] **أبو عمرو الداني/ جامع البيان في القراءات السبع، ٥١/١.**

[٣] **الزمخشري : الكشاف ٣٢٦/١**

[٤] **القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ٣٩٧/٣**

[٥] **الطبرى : جامع البيان ٦٣/٦**

[٦] **وانظر : الطبرى : جامع البيان وقد أخرج رواية سفيان بن عيينة عن أبى عبيد القاسم بن سلام ٦٣/٦- ٦٤ ، والقرطبى : الجامع لأحكام القرآن ٣٩٧/٣ .**

[٧] **الطبرى : جامع البيان ٦٣/٦ .**

لإجماع الحجة من قدماء القراءة والمتأخرين على ذلك .. ولا يجوز ترك قراءة جاء بها المسلمون مستفيضة إلى غيرهم) . [١]

ويخطأ(الطبريُّ)تأويلَ ابن عيينة ، وأنه لا معنى له ، وذلك لوجوه شتى ؛ أحدهما : أنه خلاف لقول جميع أهل التأويل ، والثانى : أنه معلوم أنَّ ضلال إحدى المرأتين فى الشهادة التى شهدت عليها إنما هو ذهابها عنها ونسيانها إياها وإذا صارت إحداهما بهذه الصفة ، فكيف يجوز أن تصير الأخرى ذكرًا معها.[٢]

ويصفه(القرطبى) بأنَّ فيه ؛بعدٌ إذ لا يحصل فى مقابلة الضلال الذى معناه النسيان إلاَّ الذكر. [٣]

وكذا وصفه (ابن عطية)بأنه تأويل بعيد غير صحيح ولا يحسن فى مقابلة الضلال إلاَّ الذكر . [٤]

ويدلل(أبو حيان)على فساد هذا المعنى ونكرانه بأن ؛اللفظ ينبو عنه من جهة اللغة ومن جهة المعنى ، أما من جهة اللغة فإن المحفوظ أن هذا الفعل لا يتعدى ، تقول : أذكرت المرأة فهى مذكر إذا ولدت الذكور، وأما : أذكرت المرأة ، أى : صيرتها كالذكر، فغير محفوظ . وأما من جهة المعنى ، فإن لو سلم أن : أذكر، بمعنى صيرها ذكرًا فلا يصح لأن التصيير ذكرًا شامل للمرأتين، إذ ترك شهادتهما بمنزلة شهادة ذكر فليست إحداهما أذكرت الأخرى على هذا التأويل، إذ لم تصر شهادتهما وحدها بمنزلة شهادة ذكر[٥].

ويصفه (الرازي) بأنه :وجهٌ باطلٌ باتفاق عامة المفسرين، ويدل على ضعفه وجهان؛ الأول: أن النساء لو بلغن ما بلغن ولم يكن معهن رجل لم تجز شهادتهن ، فإذا كان كذلك فالمرأة الثانية ما ذكرت الأولى .

الوجه الثانى : أن قوله (فتذكر) مقابل لما قبله من قوله أن تضل إحداهما فلما كان الضلال مفسر بالنسيان كان الإنكار مفسرًا بما يقابل النسيان . [٦]

---

[١] **الطبرى : جامع البيان ٦٣/٦ – ٦٤**
[٢] **الطبرى : جامع البيان ٦٣/٦ – ٦٤**
[٣] **القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ٣٩٧/٣**
[٤] **أبو حيان : البحر المحيط ٧٣٣/٢**
[٥] **السابق : ٧٣٣/٢**
[٦] **الرازي : مفاتيح الغيب ٩٥/٧- ٩٦**

ومما سبق أستطيع القول بأنَّ السبب الذى جعل (الزمخشري) يصف هذا المعنى ، بالبدع من التفسير . هو أنه ؛غير مستفيض ، ولم تجمع الحجة من القدماء عليه.

المبحث الرابع

نسق الكلام وسياقه

تعد نظرية السياق على النحو الذى بينه "فيرث" من أفضل المناهج لدراسة المعنى بسبب ما تميزت به من عناية بالعناصر اللغوية والاجتماعية ، والابتعاد عن كثير من الأفكار البعيدة عن الواقع اللغوى ، وبسبب المنهج الواضح الذى طرحته لدراسة النصوص [١]

ونجد من اللغويين المحدثين من غير أتباع "فيرث" من يبين أهميتها القصوى فى فهم النصوص اللغوية المنطوقة والمكتوبة، ولكنه يحذر من المغالاة والمبالغة التى يدعيها بعض أنصار هذه النظرية الذين يرون أن الكلمة معزولة عن السياق ليس لها معنى على الإطلاق، ويرى أن السياق ليس مقصورًا على معناه التقليدي وهو النظم اللفظي للكلمة وموقعها من ذلك النظم ، وإنما يشمل " لا الكلمات والجمل الحقيقية السابقة واللاحقة فحسب ، بل والقطعة كلها ، والكتاب كله ، كمتا ينبغي أن يشمل – بوجه من الوجوه – كل ما يتصل بالكلمة من طروف وملابسات ، والعناصر غير اللغوية المتعلقة بالمقام الذي تنطق فيه الكلمة لها هي الأخرى أهميتها البالغة فى هذا الشأن " ، ويضيف إلى ذلك أنه

[١] د/ طاهر حمودة / دراسة المعنى عند الأصولين / ص ١٧٧

لم يعارض أحد معارضة جدية فى تأثير هذه العوامل جميعها على المعنى الدقيق للكلمات ، وأنه لو روعى السياق بدقة واطراد أكثر لأمكن التخلص من كثير من الاقتباسات والترجمات والتفسيرات الكثيرة الخاطئة [١].

ويتضح أثر السياق فى توجيه اعراب كلمة (نذير) من قوله تعالى ﴿إِنَّها لَإِحْدَى الْكُبَرِ ¤ نَذِيراً لِلْبَشَرِ ﴾ [المدثر ٣٥-٣٦].

حيث يقول (الزمخشري) فى علة نصبها ؛ " ونذيرًا " تمييز من (إحدى) على معنى إنها لإحدى الدواهى إنذارًا، كما تقول : هى إحدى النساء عفافًا . وقيل : هى حال ، وقيل هو متصل بأول السورة ، يعنى قم نذيرًا . " قم فأنذر"، وهو من بدع التفاسير ، وفى قراءة أبى : نذير بالرفع " [٢].

تعددت توجيهات النحاة فى نصب (نذيرًا)، فأورد فيها النحاس سبعة أقوال . [٣]

وما اختاره (الزمخشري) ؛أنها نصبت على أنها تمييز من(إحدى) على معنى : أنها لإحدى الدواهى إنذارًا ، " احتمل أن يكون (نذيرًا) مصدرًا بمعنى الإنذار ، كالنكير بمعنى الإنكار فيكون تمييزًا : أى لإحدى الكبر إنذارًا، كما تقول : هى إحدى النساء عفافًا، كما ضمن إحدى أعظم جاء عنه التمييز" [٤]، وكذلك اختاره أبو حيان فى تفسير الآية .

أما ما وصفه (الزمخشري) بالقول البدعى بأن نصب (نذيرًا) على الحال مما فى قوله (قم)، ويكون معنى الكلام: قم نذيرًا للبشر فأنذر؛ فهذا مروى عن ابن زيد فيما أخرجه الطبرى بسنده " قال ابن زيد ، فى قوله (نذيرًا للبشر) قال الخلق ، قال بنو آدم البشر ، فقيل له : محمد النذير . قال : نعم ينذرهم " [٥].

---

[١] **السابق ص ١٨٢**

[٢] **الزمخشري : الكشاف ٦٥٣/٤**

[٣] **انظر النحاس : إعراب القرآن ٢٤٨/٥ – ٢٤٩ ولا يتسع المقام لبسطها ، وانظر القرطبى / الجامع لأحكام القرآن ٨٥/١٩-٨٦**

[٤] **أبو حيان : البحر المحيط ٣٣٦/١٠**

[٥] **الطبرى : جامع البيان ٣٤/٢٤**

وأجازه الزجاج ، حيث قال : ويجوز أن يكون (نذيرًا) منصوبًا معلقًا بأول السورة ، على معنى: قم نذيرًا للبشر . [١]

واختاره الكسائى[٢]؛ لأنه يرجع إلى قول ابن زيد كما ذكر النحاس .

وأنكره الفراء ووصفه بأنه ليس بشيءٍ ، وذلك لأن الكلام قد حدث بينهما شيء منه كثير، وكذلك رفعه فى قراءة (أبى) ينفى هذا المعنى . [٣]

ويصفه ابن الأنبارى بالقبح ، وعلته فى ذلك ما ذكره الفراء بأن الكلام قد طال فيما بينهما . [٤]

وكذلك الحال عند أبى حيان ، فهو يصف من يقول بهذا الرأى بأنه ؛بمعزل عن الصواب . [٥]

إذاً السبب الذى من أجله وصف (الزمخشري) هذا التفسير بالبدعي؛ هو سياق الكلام كما تبين من أقوال مَنْ ردوه . ففى قولهم : (لأن الكلام قد طال فيما بينهما) فقوله تعالى ﴿ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴾ الآية الثانية من السورة، و﴿نَذِيراً لِلْبَشَرِ﴾ الآية السادسة والثلاثون .

وشاهد آخر على السياق وأثره في توجيه المعنى في (توارت بالحجاب) من قوله تعالى ﴿ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ ¤ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴾ [ص: ٣١-٣٢]

يرى (الزمخشري) أن عود الضمير على الشمس وأن " التوارى بالحجاب "(مجاز فى غروب الشمس عن توارى الملك. أو المخبأة بحجابهما . والذى دل على أن الضمير للشمس مرور ذكر العشى ، ولابد للمضمر من جرى ذكر أو دليل ذكر ، وقيل :

[١] **الزجاج : معانى القرآن وإعرابه ٢٤٩/٥ (المنسوب للزجاج)**
[٢] **النحاس : إعراب القرآن ٢٤٩/٥**
[٣] **الفراء / معانى القرآن ٢٠٥/٣**
[٤] **ابن الأنبارى : إيضاح الوقف والابتداء ٩٥٥/٢**
[٥] **أبو حيان : البحر المحيط ٣٣٦/١٠**

الضمير للصافنات ، أى : حتى توارت بحجاب الليل يعنى الظلام . ومن بدع التفاسير : أن الحجاب جبل دون قاف بمسيرة سنة تغرب الشمس من ورائه)[١] .

وقد اختلف المفسرون فى عود الضمير فى "توارت"،فنجد(الطبري) يفسر "الحجاب" بالمغيب؛ أي:تغيبت (الشمس) فى مغيبيها. [٢]وعليه فالضمير يعود على الشمس.

وهذا ما يرجحه (القرطبي)، حيث يقول[٣] :

"حتى توارت بالحجاب " يعنى الشمس كناية عن غير مذكور، مثل قوله تعالى : ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ﴾ [فاطر : ٤٥] أى على ظهر الأرض ، وتقول العرب : هاجت باردة أى هاجت الريح باردة . وقال الله تعالى : ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ﴾ [الواقعة : ٨٣] أى بلغت النفس الحلقوم " وقال تعالى : ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ﴾ [المرسلات : ٣٢] ولم يتقدم للنار ذكر . وقال الزجاج : إنما يجوز الإضمار إذا جرى ذكر الشيء أو دليل الذكر ، وقد جرى ها هنا الدليل وهو قوله : " بالعشى". والعشى ما بعد الزوال".

أما أبو حيان ، فقد رجح القول الثانى : (عودالضمير على الصافنات)فيقول :(والظاهر أن الضمير فى "توارت" عائد على "الصافنات"، أي دخلت اصطبلاتها ، فهى الحجاب [٤]).

وأما وصفه (الزمخشري) بالبدع من التفاسير في معنى " الحجاب " فقد روى عن قتادة وكعب أنه جبل أخضر محيط بالخلائق، وقيل هو جبل قاف ، وقيل : جبل دون قاف . [٥]

وفسره القرطبى بأنه (الليل) ، حيث قال : والحجاب: الليل سُمى حجابًا؛ لأنَّه يستر ما فيه" [٦]

---

[١] **الزمخشري: الكشاف ٩٣/٤.**
[٢] **الطبرى : جامع البيان ١٩٤/٢١**
[٣] **القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ١٩٥/١٥**
[٤] **أبو حيان : البحر المحيط ١٥٤/٩**
[٥] **القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ١٩٥/١٥**
[٦] **السابق ١٩٥/١٥**

والحجاب فى اللسان العربي ": الستر"، وتحجب؛ إذا اكتن من وراء حجاب، والحجاب : اسم ما احتجب به ، وكل ما حال بين شيئين: حجاب . [١]

ونسق الكلام هنا وسياقه يخصص معناه بأنه الليل الذى ستر الشمس وحال دون ظهورها، ويبلغ المجاز منتهاه في تفسير (الطاهر بن عاشور) للآية، حيث قال :

"الستر فى البيت الذى تحتجب وراءه المرأة وغيرها ومنه قول أنس بن مالك : فأنزل الله آية الحجاب والكلام يميل لحالة غروب الشمس بتوارى المرأة وراء الحجاب وكل من أجزاء هذه التمثيلية مستعار فللشمس استعيرت المرأة على طريقة المكنية ولاختفائها عن الأنظار استعير التواري، ولأفق غروب الشمس استعير الحجاب" [٢].

وأستعيرُ وصفَ (الزمخشريّ) ؛(بدع التفاسير) لهذا القول، فلم يخصص الإمام ابن عاشور الستر بما تحتجب به المرأة، ولم هذه الصورة التمثيلية التى تخالف ظاهر النص !

ولا يخفي ما فيها من بعد وتعسف ،فالكلام لا يحتملها، فإنَّ " توجيه معنى كلام الله إلى الأظهر الأشهر، أولى من توجيهه إلى خلاف ذلك"[٣].

ومما سبق يتضح أنَّ (الزمخشري) ٥٣٨هـ وافق الإمام الطبري ٣١٠هـ (عمدة المفسرين) بأن (الحجاب) ؛ مغيب الشمس، ووافق القرطبيُّ ٦٧١هـ (الزمخشري)، حيث فسر كلاهما (الحجابَ) بالليل وبالظلام.

وفى توجيه الخطاب لجبريل عليه السلام في قوله تعالى : ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران :٤٧] .

يري (الزمخشري) أنه من(بدع التفاسير) حيث يقول: ومن بدع التفاسير أن قولها (رب) نداء لجبريل عليه السلام بمعنى ياسيدى) [٤].

وممن رأى أن الخطاب لجبريل عليه السلام ، القرطبى حيث قال (قَالَتْ رَبِّ) أى ياسيدى. تخاطب جبريل عليه السلام أنه لما تمثل لها قال لها: إنما أنا رسول ربك ليهب

[١] ابن منظور : لسان العرب مادة (حجب)باب (الباء) وفصل (الحاء)
[٢] الطاهر بن عاشور : التحرير والتوير ٢٥٦/٢٣
[٣] الطبري: جامع البيان، ٣٢١/١٥.
[٤] الزمخشري : الكشاف ٣٦٤/١

لك غلامًا زكيًا . فلما سمعت ذلك من قوله، استفهمت عن طريق الولد فقالت : أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر " [١].

أما (أبو حيان) فيتفق مع (الزمخشري) بأن هذا قولاً بدعيًا، ويضيف أن قول زكريا كذلك هو خطابٌ لله تعالى ، وليس لجبريل كما فسره البعض ، ويقصد قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ¤ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ¤ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ۖ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ¤ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا¤ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا¤ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ¤ قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا¤﴾ [مريم :٣-١٠] .

وفى قوله : (فلما بشرها لم تتيقن صحة قوله لأنها لم تعلم أنه ملك . فقالت رب أنى يكون لى ولد ؟ ومن ذهب إلى أن قولها: رب وقول زكريا : رب إنما هو نداء لجبريل كما بشرهما ، ومعناه : ياسيدى فقد أبعد . وقال (الزمخشري) : هو من بدع التفاسير) . [٢]

ويوجه (الطاهر بن عاشور)نداء مريم عليها السلام بأنه للتحسر وليس للخطاب وذلك لأن الذى كلمها هو الملك ، وهى قد توجهت إلى الله وقوله (قالت رب) جملة معترضة من كلامها بين كلام الملائكة . [٣]

وتوجيه آخر؛ هو أن مريم عليها السلام صدرت إجابتها بالنداء للرب ، وهذا فيه الاعتراف بالخلق والتكوين، وكمال الربوبية لله سبحانه وتعالى ، فهو تسليم بالقدرة الإلهية . وبأن خالق كل شيءٍ لا يكبر عليه شيء سبحانه وتعالى . [٤]

و(لابن عجيبة)ملمح غاية فى الروعة حيث قال : والخطاب لله ، فانية عن الواسطة لجبريل [٥].

---

[١] **القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ٩٢/٤**
[٢٢] **أبو حيان : البحر المحيط ١٥٨/٣**
[٣] **الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير ٢٤٨/٣**
[٤] **أبو زهرة : زهرة التفاسير ١٢٢٤/٣**
[٥] **ابن عجيبة : البحر المديد ١/ ٣٥٤**

فنفى عن السيدة (مريم عليها السلام)أن يكون بينها وبين الله عز وجل واسطة .
ولا يخفى السبب الذى من أجله وصف (الزمخشري) هذا التفسير بالبدعى .

المبحث الخامس

حمل المعنى على "الحقيقة"

ورد المجاز والاتساع

يرد (الزمخشري) المجاز فى تفسير قوله تعالى ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾ [الضحى: ٦]

حيث يقول:" والمعنى ألم تكن يتيمًا ، وذلك أن أباه مات وهو حنين " قد أتت عليه ستة أشهر وماتت أمه، وهو ابن ثمان سنين ، فكلفه عمه أبو طالب ، وعطفه الله عليه فأحسن تربيته . ومن بدع التفاسير " أنه من قولهم : (درة يتمية) ، وأن المعنى : ألم يجدك واحدًا فى قريش عديم " [١].

وروى هذا القول عن مجاهد فيما أخرجه القرطبى ، حيث قال :

وعن مجاهد : هو من قول العرب : درة يتيمة ، إذا لم يكن لها مثل . فمجاز الآية : ألم يجدك واحدًا فى شرفك لا نظير لك، فآواك الله بأصحاب يحفظونك ويحوطونك [٢].

ويتفق أبو حيان مع (الزمخشري) فى وصفه إياه بالبدعى [٣] .

والمفسرون جميعهم على المعنى الحقيقى لليتيم ، [٤] فنجد الطاهر بن عاشور ينص على ذلك فى تعريفه لليتيم ، فيقول: " واليتيم: الصبى الذى مات أبوه ، وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم توفى ، وهو جنين أو فى أول المدة من ولادته" [١].

---

[١] **الزمخشري : الكشاف ٧٦٧/٤**
[٢] **القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ٩٦/٢٠ وذكره الرازي : مفاتيح الغيب ٣١ / ١٩٦**
[٣] **أبو حيان : البحر المحيط ٤٩٧/١٠**
[٤] **انظر : الطبرى : جامع البيان ٤٨٧/٢٤**
وابن عطية : المحرر الوجيز ٤٩٤/٥
والطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير ٣٩٩/٣٠

ومن هنا يتبين السبب الذى من أجله وصف (الزمخشري)، قولَ (مجاهد) بالبدعى ، فالمعنى على الحقيقة لاعلي المجاز، فلا مسوغ للمجاز في هذا الموضع.

وكذلك يرد(الزمخشري)المجاز في معنى كلمة (الفرج) من قوله تعالى : ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ [التحريم : ١٢] .

فيقول (" فنفخنا فيه من روحنا " ومن بدع التفاسير : أن الفرج هو جيب الدرع ، ومعنى أحصنته: منعته جبريل ، وأنه جمع فى التمثيل بين التى لها زوج والتى لا زوج لها ، تسلية للأرامل وتطييبا لأنفسهن [٢] .)

وهذا القول " الموصوف بالبدعي" عند (الزمخشري) ، فسر به أكثر المفسرين الآية الكريمة، حيث قال القرطبى: (التى أحصنت فرجها) أى عن الفواحش . وقال المفسرون : إنه أراد بالفرج هنا الجيب لأنه قال : فنفخنا فيه من روحنا . وكل خرق فى الثوب يسمى جيبًا ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ [ق:٦] . ويحتمل أن تكون أحصنت فرجها ونفخ الروح فجيبها . ومعنى فنفخنا أرسلنا جبريل فنفخ فى جيبها من روحنا أى روحًا من أرواحنا وهى روح عيسى [٣].

وهذا رواية عن قتادة[٤] ، وعليه أغلب المفسرين ، فهو قول الجمهور حتى أن أبا حيان والذى يتفق مع (الزمخشري) في كل ما يصفه بالقول البدعى يخالفه فى هذا الموضع ويفسر الآية بهذا التفسير ويقول : (ويحتمل ما قالوا) . [٥]

والظاهر من كلام (الزمخشري) أنَّه يرى أن "الفرج" حُمِل على حقيقته، وبهذا قال (الرازي) : " أحصنت أى عن الفواحش لأنها قذفت بالزنا . والفرج حمل على حقيقته ، قال ابن عباس : نفخ جبريل فى جيب الدرع ومدة بأصبعيه ونفخ فيه ، وكل ما فى الدرع من

---

[١] **الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير ٣٠/٣٩٩**
[٢] **الزمخشري : الكشاف ٤/٥٧٣**
[٣] **القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ١٨/٢٠٣ وانظر ابن كثير : التفسير العظيم ٨/١٧٣**
[٤] **الطبرى : جامع البيان ٢٣/٥٠٠**
[٥] **أبو حيان: البحر المحيط ٧/٢٥٠.**

خُرْق ونحوه فإنه يقع عليه اسم "الفرج "[1]. وكذلك ما قاله السمين الحلبي حيث أتفق مع (الزمخشري) ، حيث فسر (الفرج) بالجارحة، وقال: ("فنفخنا فيه" أي: في الفرج) [2].

أما ابن عطية لا يرى ،أن يكون المَعْنِى بالفرج ؛ (الجارحة)، ويصف من قال بذلك :"بأنهم متأولون" ، وأن المعنى بالفرج : هو فرج الدرع الذى كان عليها وهذا قول الجمهور.

ونص كلامه : " واختلف الناس فى "الفرج" الذى أحصنت مريم ، فقال الجمهور : هو فرج الدرع الذى كان عليها ، وأنها كانت صينة ، وأن جبريل عليه السلام : نفخ فيها الروح من جيب الدرع ، وقال قوم من المتأولين :هو الفرج الجارحة ، فلفظة أحصنت : إذا كان فرج الجارحة متمكنًا حقيقة ، والإحصان صونه ، وفيه هى مستعملة ، وإذا قدرنا فرج الدرع فلفظ أحصنت فيه مستعارة من حيث صانته ، ومن حيث صار مسلكًا لولدها ، وقوله تعالى : " فنفخنا " عبارة عن فعل جبريل حقيقة ، وإن ذهب ذاهب إلى أن النفخ فعل الله تعالى ، فهو عبارة عن خلقه واختراعه الولد فى بطنها ، وشبه ذلك بالنفخ الذى من شأنه أن يسير فى الشيء برفق ولطف . وقوله تعالى : "مِنْ رُوحِنَا" إضافة المخلوق إلى خالق ومملوك إلى مالك كما تقول : بيتُ الله وناقةُ الله، وكذلك الروح الجنس كله هو روح الله [3].

والذى يبدو أن (الزمخشري) وصف هذا القول بالبدعى ، لأنه أراد المعنى الحقيقى وليس المجازي، ولكن جل المفسرين على أنه المعنى المجازى ؛ " جيب الدرع " .

المبحث السادس

[1] **الرازي: مفاتيح الغيب ٣/٥٧٥.**
[2] **السمين الحلبى : الدر المصون ١٠ / ٣٧٥**
[3] **ابن عطية: المحرر الوجيز ٥/٣٣٥.**

وشاهد ذلك معنى (الكلم) في قوله تعالى ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤] .

حيث يقول (الزمخشري) فى " كلم الله " " وعن إبراهيم ويحيى بن وثاب : أنهما قرءا (وكلم الله) بالنصب. ومن بدع التفاسير أنه من " الكَلْم"، وأن معناه وجَرَّحَ اللهُ موسى بأظفار المحن ومخالب الفتن[١].

يؤكد القرطبى على أن " كلام الله " على الحقيقة ، وذلك لأن تكليمًا مصدر معناه التأكيد ، يدل على بطلان من يقول : خلق لنفسه كلامًا فى شجرة فسمعه موسى ، بل هو الكلام الحقيقي الذى يكون به المتكلم متكلمًا . قال النحاس : وأجمع النحويون على أنك إذا : أكدت الفعل بالمصدر لم يكن مجازًا، لما قال:" تكليمًا " وجب أن يكون كلامًا على الحقيقة من الكلام الذى يعقل .

وقال وهب بن منبه : إن موسى عليه السلام قال : " يارب بم اتخذتنى كليمًا " ؟ طلب العمل الذى أسعده الله به ليكثر منه ، فقال الله تعالى له : ﴿تَذْكُرُ إِذْ نَدَّ مِنْ غَنَمك جَدْي فَاتَّبَعْته أَكْثَر النَّهَار وَأَتْعَبَك، ثُمَّ أَخَذْته وَقَبَّلْته وَضَمَمْته إِلَى صَدْرك وَقُلْت لَهُ : أَتْعَبْتنِي وَأَتْعَبْت نَفْسك , وَلَمْ تَغْضَب عَلَيْهِ ; مِنْ أَجْل ذَلِكَ اِتَّخَذْتُك كَلِيمًا ﴾ [٢].

ولكن(أبو حيان) يرد قول(القرطبى)وذلك لأن التأكيد بالمصدر دلالة على وقوع الفعل على حقيقته لا على مجازه، حيث يقول :

"وكلم الله موسى تكليمًا هذا إخبار بأن الله شرف موسى بكلامه ، وأكد بالمصدر دلالة على وقوع الفعل على حقيقته لا على مجازه ، هذا هو الغالب . وقد جاء التأكيد بالمصدر فى المجاز ، إلا أنه قليل . فمن ذلك قول هند بنت النعمان بن بشير الأنصارى

بَكَى الخَزُ مِنْ عَوْفٍ وأَنْكَرَ جِلْدَهُ ..... وَعَجَّتْ عَجِيجاً مِنْ جُذَامَ المَطَارِفُ

[١] الزمخشري : الكشاف ٥٩١/١
[٢] القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ١٨/٦

وقال (ثعلب) : لولا التأكيد بالمصدر لجاز أن تقول : قد كلمت لك فلانًا بمعنى كتبت إليه رقعة وبعثت إليه رسولًا ، فلما قال : تكليمًا لم يكن إلا كلامًا مسموعًا من الله تعالى ومسألة الكلام مما طال فيه الكلام واختلف فيها علماء الإسلام ، وبهذه المسألة سُمى علمُ أصولِ الدينِ بعلمِ الكلامِ، وهى مسألة يبحث عنها فى أصول الدين . وقرأ إبراهيم بن وثاب : وكلم الله بالنصب على أن موسى هو "المكلم". ومن بدع التفاسير أنه من "الكَلْم"، وأن معناه : وَجَرحَ اللهُ موسى بأظفار المحن ومخالب الفتن.وقال كعب : كلم الله موسى بالألسنة كلها ، فجعل موسى يقول:رب لا أفهم ، حتى كلمه بلسان موسى آخر الألسنة [1]."

ويتبع (الرازي) (الزمخشري) ويصف هذا التفسير ، بأنه تفسيرٌ باطل وأن المراد من قوله " ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ .؛

"أنه بعث كل هؤلاء الأنبياء والرسل وخص موسى عليه السلام بالتكلم معه ، ولم يلزم من تخصيص موسى عليه السلام بهذا التشريف الطعن فى نبوة سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، فكذلك لم يلزم من تخصيص موسى بإنزال التوراة عليه دفعة واحدة طعن فيمن أنزل الله عليه الكتاب لا على هذا الوجه ، وعن إبراهيم ويحيى بن وثاب أنهما قرءا وكلم الله بالنصب ، وقال بعضهم : "وكلم الله" معناه وجرح الله موسى بأظفار المحن ومخالب الفتن وهذا تفسير باطل " [2] .

ومن معانى " الكلم "عند العرب ؛

(الجُرْح)، والجمع كُلُوم وكِلاَمُ ؛ أنشد ابنُ الأعرابى:

يَشْكُو إذا شُدَّ لَهْ حِزامُه شكوى سَليم ذَرِبَتْ كِلامُه

[1] أبو حيان : البحر المحيط ١٣٩/٤

[2] الرازي : مفاتيح الغيب ٢٦٧/١١

سُمى موضعُ (نهشةِ الحية من السليم)كلمًا ، وإنما حقيقته الجرح، وقد يكون السليم هنا الجريح ، فإذا كان كذلك فالكَلْمُ هنا أصل لا مستعار . وكَلَمَه يَكْلمُه ، تكلْمًا وتكلّمَه تكلمْاُ: جَرَحُه"[١].

ولا يخفي على القارئ، السبب الذى من أجله وصف الزمخشرى هذا القول (ببدع التفاسير)، وهما أمران ؛ أولهما ، أنه من الفرقة التى تثبت لله سبحانه الكلام ولا تنفيه كبقية فرق المعتزلة . [٢].

ثانيهما : أن معنى (الكلام) بأنه التجريح على المجاز لا يتفق وتأكيد الفعل بالمصدر، " فلما جاء تكليمًا خرج الشك الذى كان يدخل فى الكلام ...، والعرب تقول إذا وكد الكلام لم يجز أن يكون التوكيد لغوًا، والتوكيد بالمصدر دخل لإخراج الشك" [٣] وإن كان بالمسألة خلاف .

فالكلام فى الآية على (الحقيقة)وليس على(المجاز) ، وتوجيه تأويل القرآن إلى الأأشهر أولى من توجيهه إلى الأنكر .

ويتفق (الرازي) مع (الزمخشري) وزيادة؛ فلا يكتفي بوصف هذا التفسير (بالبدعة)بل يصفه ؛ بأنه: تفسير باطل. ويعقب (ابن المُنَيِّر) على وصف (الزمخشري) ؛ بأنه صدق وأنصف ، فهو تفسير نقل (عن بعض المعتزلة لانكارهم الكلام القديم الذى هو صفة الذات ، إذ لا يثبتون إلا الحروف والأصوات قائمة بالأجسام ، لا بذات الله تعالى ، فيرد عليهم بجحدهم كلام النفس إبطال خصوصية موسى عليه السلام فى التكليم ، إذ لا يثبتونه إلا بمعنى سماعه حروفًا وأصواتًا قائمة ببعض الأجرام، وذلك مشترك بين موسى وبين كل سامع لهذه الحروف ، حتى المشرك الذى قال الله فيه (حتى يسمع كلام الله) فيضطر

---

[١] **ابن منظور : لسان العرب مادة :(كلم) باب (الميم) فصل (الكاف)**

[٢] **وانظر فى هذه القضية الاعتزالية " كلام الله " .**
أ- أحمد بن المنير / الانتصاف ٥٩١/١
ب - القاضى عبد الجبار / تنزيه القرآن عن المطاعن ص ٣٢٦
ج - الشريف المرتضى / غرر الفوائد ودرر القلائد ٢/ ٢٠٥ – ٢٠٦
د- يحيى العمرانى / الانتصار فى الرد على المعتزلة ٢/ ٥٤٣

[٣] **ابن منظور / لسان العرب / مادة (كلم) باب الميم فصل الكاف**

المعتزلـى إلـى إبطـال الخصوصـية الموسـوية بحمـل التكلـيم علـى التجـريح ، وصـدق (الزمخشري) وأنصف : إنه لمن يدع التفاسير التى ينبو عنها الفهم ولا يبين بها إلا الوهم)[1].

ويفصل (الطاهر بن عاشور) مذهب من نفى "كلام الله "من المعتزلة، بقوله:

"وقالت المعتزلة : يخلق الله حروفًا وأصواتًا بلغة الرسول فيسمعها الرسول ، فيعلم أن ذلك من عند الله ، بعلم يجده فى نفسه ، يعلم به أن ذلك ورد إليه من قبل الله ، إلا أنه ليس بواسطة الملك ، فهم يفسرونه بمثل ما نفسر به نحن نزول القرآن فإسناد الكلام إلى الله مجاز فى الإسناد ، على قولهم ، لأن الله منزه عن الحروف والأصوات . والكلام حقيقة حروف وأصوات ، وهذه سفسطة فى الدليل لأنه لا يقول أحد بأن الحروف والأصوات تتصف بها الذات العلية . وهو عندنا وعندهم غير الوحى الذى يقع فى قلب الرسول ، وغير التبليغ الذى يكون بواسطة جبريل ، وهو المشار إليه بقوله تعالى: ﴿أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ [الشورى : ٥١][2]".

ومن المذهبية، تفسير: قوله تعالى :﴿ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ¤ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ¤ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ¤ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ¤ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ¤ فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾[الملك:٦-١٠].

حيث يقول (الزمخشري):

"ومن بدع التفاسير : أن المراد لو كنا على مذهب أصحاب الحديث أو على مذهب أصحاب الرأى ، كأن هذه الآية نزلت بعد ظهور هذين المذهبين ، وكأن سائر أصحاب المذاهب والمجتهدين قد أنزل الله وعيدهم ، وكأن من كان من هؤلاء فهو من الناجين لا محالة ، وعدة المبشرين من الصحابة : عشرة ، لم يضم إليهم حادى عشر ، وكأن من

[1] **ابن المنير : حاشيته على الكشاف (الانتصاف) ٥٩١/١**
[2] **الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير ٣٨/٦**

يجوز على الصراط أكثرهم لم يسمعوا بأسم هذين الفريقين بذنبهم بكفرهم فى تكذيبهم الرسل فسحقًا قرئ بالتخفيف والتثقيل ، أى : فبعدا لهم ، اعترفوا أو جحدوا ، فإن ذلك لا ينفعهم ."[١].

وتفسير الآية أنَّ هذا " مما حكاه الله تعالى عن الكفار جوابًا للخزنة حين قالوا : ألم يأتكم نذير، والمعنى لو كنا نسمع الإنذار سماع من كان طالبًا للحق أو نعقله عقل من كان متأملًا متفكرًا لما كنا من أصحاب السعير"[٢].

ولم أقف على من فسر الآيات بهذا التفسير ، وقد نقله (الرازي) عن (الزمخشري) ووافقه في وصفه إياه بالبدعي[٣]، وكذلك يصفه (الطاهر بن عاشور)بأنه تفسير عجيب، وأنه ،من قبيل الاسترواح[٤].

ولا يخفي اتفاق الرازي والطاهر بن عاشور مع (الزمخشري).

وفي معنى (الخوف) من قوله تعالى :

﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ¤ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ¤ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ¤ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ¤﴾ [سورة قريش: ١-٤] .

ينكر (الزمخشري) قول من قال : (أن تكون الخلافة في غير قريش) حيث يقول :

" والتنكير فى (جوع وخوف) لشدتهما ، يعنى : أطعمهم بالرحلتين من جوع شديد كانوا فيه قبلهما، (وآمنهم من خوف عظيم) وهو خوف أصحاب الفيل ، أو خوف التخطف فى بلدهم ومسايرهم . وقيل : كانوا قد أصابتهم شدة حتى أكلوا الجيف والعظام المحروقة ، وآمنهم من خوف الجذام فلا يصيبهم ببلدهم . وقيل ذلك كله بدعاء إبراهيم صلوات الله عليه .

---

[١] **الزمخشري : الكشاف ٥٧٩/٤**

[٢] **انظر : الطبرى : جامع البيان ٢٣ /٥١٠ ، والقرطبى : الجامع لأحكام القرآن ٢١٢/١٨ – ٢١٣ والرازي : مفاتيح الغيب ٣٠ / ٥٨٨ والنص نقلاً عنه.**

[٣] **الرازي، مفاتيح الغيب ٥٨٨/٣٠.**

[٤] **الطاهر من عاشور / التحرير والتنوير ٢٨/٢٩.**

ومن بدع التفاسير : وآمنهم من خوف ، من أن تكون الخلافة فى غيرهم"[١].

وقد حصر (الرازي) معنى (الخوف)في ستة وجوه؛ ومنها ما وصفه (الزمخشري) بالقول البدعى ، ويراه من الوجوه المحتملة ، فلم يرده ولم يعقب عليه[٢]، وكذلك أبو حيان ، فلم يعقب على ما وصفه بالقول البدعي [٣].

وهذا القول ؛ قد أخرجه القرطبى ، عن على رضى الله عنه أنه قال:(وآمنهم من خوف أن تكون الخلافة إلا فيهم) [٤].

وقد اختلفت روايات السلف فى تعيين " الخوف " ومنها ما ذكره (الزمخشري) أنه : الخوف من العدو ، أو الخوف من التخطف ، أو الخوف من الجذام ، ولم يرجح قولًا معينًا ، وكأن معناه عام ، يعم كل ما ذكره السلف، وبهذا يقول(الطبرى): " والصواب من القول فى ذلك أن يقال : إن الله تعالى ذكره أخبر أنه (وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ) والعدو مخوف منه والجذام مخوف منه ، ولم يخصص الله الخبر عن أنه آمنهم من العدو دون الجذام ، ولا من الجذام دون العدّو ، بل عمّ الخبر بذلك ، فالصواب أن يعم كما عمّ جلّ ثناؤه ، فيقال : آمنهم من المعنيين كليهما"[٥].

ومما يبدو جليًا أن (الزمخشرى) وصف ما روى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه بالقول البدعى لما فيه من التعصب الفرقى والمذهبى لآل البيت ورأى أن فى معنى (خوف) عموما ؛ يعم كل المخاوف، وهذا ما رجحه الطبرى ، ولا يخفى موافقة الزمخشرى له.

---

[١] **الزمخشري : الكشاف ٨٠٣/٤.**
[٢] **الرازي : مفاتيح الغيب ٣٢ / ٢٩٩**
[٣] **أبو حيان : البحر المحيط ٥٥٠/١٠**
[٤] **الطبرى : جامع البيان ٢٤/ ٦٢٤**
[٥] **السابق ج٦٢٤/٢٤ ـ ٦٢٥**

الخاتمة والنتائج

وفي ختام دراستي ، خلصت إلى جملة من النتائج؛ هي الآتي ذكرها:

١- لم أقف للزمخشري على تعريف صريح للبدعة ولكنه أشار إلى أنها تقابل السنة النبوية، فهي إذا مذمومة عنده، وتطلق على ما يخالف كتاب الله، وسنة رسوله، وهو في هذا يتفق مع إمام المحدثين والحفاظ ابن حجر العسقلاني، حيث عرف البدعة بأنها تطلق في الشرع في مقابل السنة، فتكون مذمومة.

٢- أراد (الزمخشري) بوصفه (بدع التفاسير) أنَّ هذه التفاسير تخالف جماع أهل الحجة، فهي (المنكر) الذي يقابل (الأشهر) من التفسير، وهو في هذا يتبع الطبري في قوله: توجيه معنى كلام الله إلى الأظهر الأشهر أولى من توجيهه إلى خلاف ذلك.

٣- (الزمخشري) حفى بالقراءات في (كشافه) وتوجيهها، لا يفوته أن ينكر قراءة ما، وكان ضابطه ما وضعه الطبري من الاعتبارات بإجماع الحجة في القراءة، وأنه لا بجوز ترك قراءة جاء بها المسلمون، مستفيضة إلى غيرها.

٤- لا يمكن أن نغفل الجانب المذهبي لإمام المعتزلة، فقد كان من بين الأقوال الموصوفة بالبدعية، قول يخالف اتجاهه المذهبي.

٥- لم ينص (الزمخشري) على السبب الذي من أجله وصف تلك الأقوال بالبدع من التفاسير، وأذكر أن هذا هدف الدراسة.

٦- وافق(أبو حيان الأندلسي) ت٧٤٥ هـ وابنُ عطية ت٥٤٢ هـ و(الرازيُّ) ت٦٠٦هـ (الزمخشريَّ)، ليس هذا فحسب بل حسن (الرازي) وصف (الزمخشري)، أما(أبو حيان) فقد فصل القول فيما وصفه (الزمخشري) تفصيلا.

٧- تفرد (الزمخشري) برأيه في مواضع يسيرة جدا.

٨- على الرغم من اعتزالية (الزمخشري) إلاَّ أنه ألزم نفسه بضوابط التفسير التي وضعها عمدة المفسرين ؛ الإمام الطبري وكانت اعتبارًا في وصفه (بدع التفاسير).

٩- مصطلح ؛ (بدع التفاسير) أول من استعمله (الزمخشري) ولم يأتِ عندأحد غيره ٠فأوصي بدراسة هذا النوع من التفاسير الموسومة بالبدعيةأو التفرد عند أئمة المفسرين.وكذلك تطرح الدراسة سؤالا ؛ هل ورد عند (الزمخشري) أقوالا موسومة بالبدعة ولم ينص على بدعيتها ؟

١٠- أظهرت الدراسة تفرد (الرازي) ببعض التفاسير.

﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة يونس:١٠]

ثَبَت المصادر والمراجع

١) ابن الاثير : مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد ابن الأثير ٦٠٦ هـ :
● النهاية فى غريب الحديث والأثر ت / محمود محمد الطناحى المكتبة العلمية بيروت ١٩٧٩ م

٢) ابن المنير : ناصر الدين أحمد بن محمد بن المنير السكندرى المالكى ت ٦٨٣ هـ : ● الانتصاف : على هامش تفسير الزمخشرى طـ١ المكتبة التجارية الكبرى بمصر ١٣٥٤ هـ لصاحبها / مصطفى محمد .

٣) ابن تيمية : تقى الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحرانى ٧٢٨هـ:
● مجموع الفتاوى : ت: عبد الرحمن بن قاسم، طـ مجمع الملك فهد / المدينة المنورة / السعودية ١٩٩٥م. ● اقتضاء الصراط المستقيم : تحقيق/ ناصر عبد الكريم العقل، مكتبة الرشيد / الرياض .

٤) ابن جنى : أبو الفتح عثمان بن جنى الموصلى ٣٩٢ هـ :
● المحتسب فى تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح بها ط وزارة الأوقاف / المجلس الأعلى للشئوون الإسلامية ١٩٩٩ م .

٥) ابن حجر :إمام الحفاظ ، أحمد بن على بن حجر أبو الفضل العسقلانى ٨٥٢ هـ :
● فتح البارى بشرح صحيح البخاري : الطبعة الثالثة المكتبة السلفية ، القاهرة رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه :محمد فؤاد عبد الباقى .و محب الدين الخطيب و قصي محب الدين الخطيب.

٦) ا
بن خلدون : عبد الرحمن بن محمد بن محمد ابن خلدون أبو زيد الإشبيلى ٨٠٨ هـ :
● مقدمته : ديوان المبتدأ والخبر فى تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوى الشأن الأكبر، ت / خليل شحادة دار الفكر – بيروت ١٩٨٨ م

٧) ابن خلكان : أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم ابن خلكان البرمكى ٦٨١هـ :
● وفيات الأعيان : تحقيق / إحسان عباس، دار صادر – بيروت.

٨) ابن رجب : زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن الحنبلى ٧٩٥هـ:
● جامع العلوم والحكم فى شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم، ت / محمد الأحمدى أبو النور، ط٢ دار السلام مصر ٢٠٠٤م .

٩) ابن سنان : أبو محمد عبد الله بن محمد بن سنان الخفاجى ٤٦٦ هـ :
● سر الفصاحة : ط ١ دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٢ م

١٠) ابن شبة : عمر بن شبة ، بن عبيدة بن ربطة النميرى ٢٦٢ هـ :
● تاريخ المدينة : ط / السيد حسن – جدة تحقيق / محمد فهيم شلتوت ١٣٩٩ هـ

١١) ابن عجيبة : أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدى بن عجيبة الصوفى ١٢٢٤ هـ :
● البحر المديد : فى تفسير القرآن المجيد / ط د. حسن عباس زكى القاهرة ١٤١٩ هـ ، ت / أحمد رسلان .

١٢) ابن عطية : أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الاندلسى ٥٤٢هـ :
● المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز ط دار الكتب العلمية بيروت ٥٤٢ هـ
١٣) ابن منظور : محمد بن مكرم بن على أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصارى ٧١١ هـ :
● لسان العرب : الطبعة الثالثة دار صادر بيروت ١٤١٤ هـ
١٤) أبو حيان الأندلسى : أبو حيان محمد بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسى ٧٤٥ هـ:
● البحر المحيط فى التفسير، تحقيق/ صدقى محمد جميل / دار الفكر بيروت ١٤٢٠هـ.
١٥) أبو العباس ، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدايم المعروف بالسمين الحلبي ٧٥٦هـ :
● الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق / الدكتور أحمد محمد الخراط ، دار القلم – دمشق.
١٦) أحمد بن حنبل : أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيبانى ٢٤١هـ:
● المسند : ط مؤسسة الرسالة ٢٠٠١ م تحقيق :شعيب الأرنؤوط وآخرين .
١٧) أحمد سليمان ياقوت
(دكتور) : أستاذ بكلية الآداب – جامعة الإسكندرية ت ٢٠٠٨ م ● الكتاب بين المعيارية والوصفية ط دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية .
١٨) الأزهرى : محمد بن أحمد بن الازهرى الهروى ٣٧٠ هـ :
● تهذيب اللغة: تحقيق/ محمد عوض مرعب دار إحياء التراث العربى – بيروت ٢٠٠١ م
١٩) البخارى : محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخارى الجعفى ٢٥٦ هـ :
● صحيح البخارى: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، دار طوق النجاة القاهرة / ترقيم أ . محمد فؤاد عبد الباقى.
٢٠) حاجى خليفة : مصطفى بن عبد الله المشهور باسم حاجى خليفة أو الحاج خليفة ١٠٦٧هـ:
● كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون، مكتبة المثنى – بغداد
٢١) الخطابى : أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب السبتى ٣٨٨هـ:
● معالم السنن : شرح سنن أبى داود ط ١ المطبعة العلمية حلب ١٩٣٢م
٢٢) الذهبى : شمس الدين / أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز ت ٧٤٨ هـ :
● تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ط ٢ ١٩٩٣ م دار الكتاب العربى – بيروت .سير أعلام النبلاء : دار الحديث – القاهرة ٢٠٠٦ م ●.ميزان الاعتدال، تحقيق/ على محمد البجاوي، ط دار المعرفة /بيروت.
٢٣) الذهبى : محمد حسين الذهبى من علماء الأزهر الشريف ت ١٩٧٧ م رحمة الله تعالى:

● التفسير والمفسرون : مكتبة وهبة / القاهرة.
٢٤) الرازى : أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن التيمى الرازى فخر الدين الرازى ٦٠٦هـ :
● مفاتيح الغيب : (التفسير الكبير) ط دار إحياء التراث العربى – بيروت ١٤٢٠ هـ
٢٥) الزَّبِيدى : مرتضى الزبيدى / محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسينى ١٢٠٥هـ:
● تاج العروس من جواهر القاموس / ط دار الهداية .
٢٦) الزجاج : أبو إسحق الزجاج / إبراهيم بن السرى بن سهل ٣١١ هـ :
● معانى القرآن إعرابه عالم الكتب بيروت ١٩٨٨ م، تحقيق / عبد الجليل عبده شلبى.
٢٧) الزمخشرى : أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد / الزمخشرى جابر الله ٥٣٨ هـ :
● الفائق فى غريب الحديث : تحقيق على محمد البجاوى ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة /لبنان ط ٢.
● الكشاف : ط الأولى المكتبة التجارية بمصر تحقيق / مصطفى محمد ١٣٥٤ هـ، وبذيله / الانتصاف لابن المنير وحاشية محمد عليان المرزوقى من علماء الأزهر الشريف .
٢٨) الشريف المرتضى : الشريف المرتضى على بن الحسين الموسوى العلوي ٤٣٦ هـ :
● غرر الفوائد ودرر القلائد : (آمالى المرتضى) تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط دار إحياء الكتب العربة ١٩٥٤ م.
٢٩) الطاهر بن عاشور : محمد الطاهر بن محمد بن عاشور التونسى ١٣٩٣هـ:
● التحرير والتنوير " تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير ت الكتاب المجيد " ط الدار التونسية للنشر / تونس سنة ١٩٨٤ هـ
٣٠) طاهر سليمان حمودة (دكتور) : أستاذ بكلية الآداب- جامعة الإسكندرية ت ٢٠٢٠م
● دراسة المعنى عند الأصوليين ط دار الجميل/ الإسكندرية
٣١) الطبرى : أبو جعفر الطبرى محمد بن جرير بن يزيد بن كثير ٣١٠هـ:
● جامع البيان عن تأويل آى القرآن، تحقيق محمود شاكر – وأحمد شاكر / ط ٢ دار المعارف بمصر، وبقية الأجزاء دار الجيل/ بيروت/دت.
٣٢) عز الدين بن عبد السلام : سلطان العلماء / أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبى القاسم ٦٦٠ هـ :
● قواعد الأحكام فى مصالح الأنام دار القلم دمشق ٢٠٠٠ م تحقيق/ نزيه حماد .
٣٣) الفراء : أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلى الفراء ٢٠٧هـ :
● معانى القرآن : ط دار المصرية للتأليف، تحقيق / محمد على النجار وآخرون
٣٤) فهد سليمان الرومى(أستاذ/ دكتور): فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومى، أستاذ كلية المعلمين – الرياض – السعودية :
● شرح مقدمة التسهيل لابن جزى : دار ابن الجوزى ١٤٣١ هـ المملكة العربية السعودية.

٣٥) القاضى عبد الجبار : القاضى عبد الجبار بن احمد بن عبد الجبار الهمزانى المعتزلى ٤١٥ هـ :
● تنزيه القرآن عن المطاعن : دار النهضة الحديثة ٢٠١٢ م
٣٦) القرطبى : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبى بكر بن مزح الأنصارى الخزرجى شمس الدين القرطبى ٦٧١ هـ :
● الجامع لأحكام القرآن، تحقيق / أحمد البردونى وإبراهيم أطفيش/ دار الكتب المصرية القاهرة ١٩٦٤ م.
٣٧) مالك بن انس : بن مالك بن عامر الأصبحى المدنى ت ١٧٩ هـ :
● الموطأ : ط ١ مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان / أبو ظبى – الإمارات ٢٠٠٤ م.
٣٨) المبرد : محمد بن يزيد المبرد / أبو العباس ٢٨٥ هـ :
● الكامل فى اللغة والأدب ط٣ دار الفكر العربى بيروت ت / محمد أبو الفضل إبراهيم ١٩٩٧ م
٣٩) محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة ١٣٩٤هـ :
● زهرة التفاسير، دار الفكر العربي .
٤٠) محمد أبو شهبة (دكتور) : من علماء الأزهر الشريف رحمه الله تعالى: محمد بن محمد بن سويلم أبو شهبة ١٤٠٣ هـ :
● الإسرائيليات والموضوعات : ط ٤ مكتبة السنة – القاهرة
٤١) المزى : يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف ، أبو الحجاج ٧٤ هـ :
● تهذيب الكمال : فى أسماء الرجال، تحقيق/ د. بشار عواد معروف، ط مؤسسة الرسالة – بيروت .
٤٢) مسلم : بن الحجاج أبو الحسن القشيرى ٢٦١ هـ :
● صحيح مسلم : المسند الصحيح المختصر نبقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ط دار إحياء التراث العربى بيروت ت / محمد فؤاد عبد الباقى .
٤٣) النحاس : أبو جعفر النحاس / أحمد بن محمد بن إسماعيل ٣٣٨ هـ :
● إعراب القرآن / دار الكتب العلمية / بيروت ١٤٢١ هـ ، تحقيق/ عبد المنعم خليل إبراهيم
٤٤) النووى : أبو زكريا محى الدين بن شرف النووى ٦٧٦ هـ :
● المجموع : ط مكتبة الإرشاد / جدة / السعودية .
● المنهاج شرح صحيح مسلم: دار إحياء التراث العربى بيروت ١٣٩٢ هـ.
٤٥)يحيى العمرانى : أبو الحسين المعتزلة يحيى بن أبى الخير بن سالم العمرانى ٥٥٨هـ:
● الانتصار فى الرد على: تحقيق/ سعود بن عبد العزيز الحلف ، ط أضواء السلف / الرياض /السعودية ١٩٩٩ م

الملخص باللغة الإنجليزية :

The study is summarized in an inventory of the exegetical sayings that al-Zamakhshari described as heresy, which he termed (from interpretative heresy). Imam (Al-Zamakhshari) was unique with this term; No one else came. The study showed the intention of Al-Zamakhshari from the term (innovation) that it refers to the reprehensible matter and the study came to explain the reason for which (Al-Zamakhshari) described these sayings as heresy from the interpretations, and it was found that, in their entirety, they contradict the most famous of the sayings of the predecessors, as well as the collective argument from the Arab people and not only this Rather, it transcends it to the Quranic readings And that among them is what Al-Zamakhshari described as heresy of interpretations because they contradict the entire argument of the readers. From the analysis of the evidence labeled as heresy, I found that (Al-Zamakhshari) made the rules of interpretation according to Imam Al-Tabari a standard for him in this term. We cannot neglect the doctrinal aspect of (Al-Zamakhshari), for it was his control in some places, and (Abu Hayyan) follows (Al-Zamakhshari) and improves his sayings, and even increases and separates the sayings in it, as well as (Al-Razi). Most likely, those who came after al-Zamakhshari agreed with him.

God bless and help.